الإعجاز
في القرآن الكريم

إعداد:
د.حاكم بن قاسم الحاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، أنزل خير كتبه على خير رسله، بلسان عربي مبين، وصلى الله وسلم وبارك على خير البرية، وأزكى البشرية، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم البعث والنشور. أمَّا بعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والعظمى، فقد تحدى الله به الجن والأنس أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الاسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة: ٢٣]، وغير ذلك من الآيات الكريمات التي تدل على عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

وقد أجمل وصفه وأحسنه من قال: «فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذّكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، هو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الّذي لم تنته الجنّ إذ سمعته حتّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجنّ: ١ - ٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[(١)].

ولما كان إعجاز القرآن الكريم سمة من سماته وسراً من أسراره، قيض الله علماء المسلمين قديماً وحديثاً للكتابة في إعجاز القرآن الكريم، وإثرائه فيما يكتبون، حرصاً منهم على الدفاع عن القرآن الكريم.

وسيكون حديثنا في هذا المبحث عن (**الإعجاز في القرآن الكريم**) تعريفه، ونشأته، ومراحله التاريخية التي مر بها، ووجوه الإعجاز.

(١) رُوي هذا حديثا مرفوعا إلى النّبيّ ﷺ ، ولا يصحّ، وقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٢) وأحمد رقم (٧٠٤) والدّارمي رقم (٣٢١١) والتّرمذيّ رقم (٢٩٠٦) وقال: "هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال "وتعقبه ابن كثير في فضائل القرآن(ص١١)، والنّسائيّ في مسند عليّ- كما في تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٦٧) - وغيرهم، من طريق الحارث بن عبد الله الأعور، عن عليّ بن أبي طالب، والأقرب أنه موقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هيكل البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهرس، وفق الترتيب الآتي:

التمهيد وفيه تعريفات العنوان، ومدخل إلى إعجاز القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الأول: الإعجاز البياني، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإعجاز البياني ومكانته.

المطلب الثاني: أقسام الإعجاز البياني.

المطلب الثالث: وجه دلالة الإعجاز البياني على مصدر القرآن.

المطلب الرابع: جوانب الإعجاز البياني، وفيه:

أولاً: إعجازه في بلاغته وفصاحته.

ثانياً: النظم القرآني (جزالته وتناسقه).

ثالثاً: اسلوب القرآن.

المطلب الخامس: نماذج لبلاغة القرآن وفصاحته.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز التشريعي.

المطلب الثاني: مكانة الإعجاز التشريعي.

المطلب الثالث: منهج القرآن في التشريع، **وفيه:**

أولاً: تربية الفرد.

ثانيًا: بناء الأسرة.

ثالثاً: بناء المجتمع.

المطلب الرابع: دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم.

المطلب الخامس: خصائص التشريع ومزاياه.

المطلب السادس: نماذج وصور للإعجاز التشريعي للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي (الإخباري)، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: أهمية الإعجاز الغيبي ومكانته.

المطلب الثاني: أنواع الأخبار الغيبية الواردة في القرآن، وفيه:

النوع الأول: الإخبار عن الغيب المطلق.

النوع الثاني: الأخبار الغيبية الماضية.

النوع الثالث: إعجاز الحاضر.

النوع الرابع: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة "غيب المستقبل".

المطلب الثالث: وجه دلالة الغيب على مصدر القرآن.

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي (التجريبي)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالإعجاز العلمي والتفسير العلمي والفرق بينهما.

المطلب الثاني: تاريخ التفسير العلمي وأهم المؤلفات فيه.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في الإعجاز العلمي.

المطلب الرابع: وجه دلالة الإعجاز العلمي على مصدر القرآن الكريم.

المطلب الخامس: نماذج وصور من الإعجاز العلمي.

المبحث الخامس: الإعجاز العددي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز العددي، ونشأته.

المطلب الثاني: موقف العلماء من الإعجاز العددي.

المطلب الثالث: المؤلفات في الإعجاز العددي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس: وتشتمل على:

١) فهرس المصادر والمراجع.

٢) فهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق والإخلاص والسداد، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

وفيه تعريفات العنوان، ومدخل إلى إعجاز القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

أولاً: تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

الإعجاز في اللغة: مأخوذ من "عجز" والتي تعني عدم القدرة، قال ابن فارس: (عجز العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء [١].

ويقال: عجز عن الأمر إذا قصر عنه[٢]، ولذلك سميت المرآة الكبيرة السن عجوزاً؛ لعجزها في كثير من الأمور.

ويأتي بمعنى الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني، وجاء في القرآن: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٢][٣].

وصار العجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾[المائدة: ٣١].

والمعجزة: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة[٤].

الإعجاز في الاصطلاح: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، يظهره

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس مادة "عجز" (٢٣٢/٤).

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٨١٧/٤).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ٥٤٧)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٦٩).

(٤) ينظر: تاج العروس للزبيدي (١٥/ ٢١١).

الله على يد مدعي النبوة[1].

شرح التعريف:

(**أمر خارق للعادة**): أي غير مألوف عند الناس، أي خارج الممكن، (مستحيل عادة)، مما يعني أن مصدرها من عند الله تعالى.

(**مقرون بالتحدي**): أي يتحدى بها النبي المدعويين.

(**سالم عن المعارضة**): يعجز الخلق عن أن يأتوا بمثلها فيكون العجز دلالة على صدق النبي أو الرسول.

(**يظهره الله على يد مدعي النبوة**): أي أنها لا تأتي إلا لمن اختاره الله للنبوة أو الرسالة تصديقاً له في دعواه.

سبب تسمية المعجزات بهذا الاسم: لأنها تُعجز العقل عن تفسيرها التفسير المادي فلا يوجد أي تفسير إلا أنها من عند الله، كما تعجز القدرة الإنسانية عن الإتيان بمثلها.

(١) ينظر: كتاب التعريفات للجرجاني (ص ٢١٩)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/٤).

ثانياً: تعريف القرآن لغةً واصطلاحاً:

القرآن في اللغة: مأخوذ من مادة قرأ، بمعنى تلا، ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٤].

فالقرآن بمعنى المقروء، ثم غلب اسماً على كلام الله تعالى المحفوظ بين دفتي المصحف.

وقيل هو مصدر كالقراءة، ومعناه الجمع والضم، وسمّي كذلك ؛ لأنّه يجمع السّور ويضمّها.

والقرآن في الاصطلاح: كلام الله المنَزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره.

شرح التعريف:

(**كلام الله**): خرج به ما سواه من كلام الانس والجن والملائكة.

(**المنَزل**): خرج به كلام الله الذي لم ينزله ككلامه لملائكته ليعملوا به لا لينزلوه.

(**على نبيه محمد** ﷺ) خرج به ما نزل على غيره من الأنبياء، ويدخل فيه ما نزل عليه من كلام الله كالحديث القدسي.

(**المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره**) خرج به الحديث القدسي، وغيره من الكلام المنَزل على محمد ﷺ سوى القرآن[1].

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن للقطان (ص ٢١) ، والمحرر في علوم القرآن للدكتور مساعد الطيار(١٩-٢٣)، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، للجديع (ص ٩-١٠).

ثالثاً: المراد بإعجاز القرآن الكريم (باعتباره مركباً إضافياً) :

يمكن تعريفه بقولنا هو: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث[1].

وعرفه بعضهم بقوله: إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثله أو بمثل بعضه، في ألفاظه ومعانيه[2].

فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الباقية والخالدة إلى قيام الساعة، حيث أراده الله أن يكون خاتمة الرسالات ومن ثم فإن إعجازه دليل على صدقه على مر العصور والدهور.

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد الرومي (ص٢٦٣).

(٢) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع (ص١٤).

المطلب الثاني: مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم.

أولاً: أهمية إعجاز القرآن وثمرة دراسته:

١) إظهار كشف أوجه الإعجاز الذي تضمنته آيات القرآن وسوره سواء منها البياني، أم الغيبي، أم التشريعي، أم العلمي، أم غيرها من أوجه الإعجاز المتعددة إلى قيام الساعة، والتي يكون نتيجتها الاهتداء إلى هذا الحق المبين.

٢) الكشف عن إعجاز القرآن وأنه قد تحقق، ولا زال يتحقق عبر العصور والأزمان وهذا أمر مفروغ منه واقع موقع اليقين والإيمان عند المسلمين.

٣) شدة الحاجة إلى دراسة مثل هذا الموضوع وتحقيق الحق فيه، لشرفه أولاً وأهميته، ولكثرة من غلط فيه أو جانب الصواب من الطوائف أو الأفراد.

٤) حصول هداية الخلق وقيام الحجة على الجميع والمعذرة إلى الله، ولهذا جعله الله حجة على الناس إلى الناس يوم الدين.

٥) إن إظهار مثل هذا العلم ونشره فيه بيان لعظمة كتاب الله عز وجل وإيجاد الصلة بينه وبين قلوب المسلمين وإيضاح لغير المسلمين ممن رام الحق.

٦) إقامة صلة وثيقة بين قلب المسلم وكتاب الله الذي يؤمن به ويؤمن بأنه كلام الله حقيقة المنزل على رسوله الكريم ﷺ.

٧) إدراك أن المعجزة القرآنية لم تكن موقوته بوقت الدعوة فقط، وإنما هي قائمة ما دامت الحياة وما عاشت الأجيال.

ثانياً: المعجزة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم استعمال مشتقات كلمة "عجز" نحو (٢٦) مرة، لكن مصطلح "الإعجاز" و"المعجزة" لم يرد استعمالهما في القرآن ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة، ولا التابعين، وإنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دُوّنت العلوم ومنها علوم العقائد، في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث[1].

وأطلق القرآن على المعجزة عدة مسميات منها:

١) **الآية:** قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ..﴾[الإسراء: ١٠١]، وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، وفرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

٢) **البينة:** كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٠٦]. وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، والمراد بالبينة: الدلالة الواضحة سواءً كانت عقلية أو محسوسة.

٣) **البرهان:** قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقال سبحانه وتعالى مخاطبًا نبيه موسى عليه السلام بعدما أمره

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ص ٢٨)، مباحث في إعجاز القرآن للدكتور: مصطفى مسلم (ص ١٧).

أن يلقي عصاه فإذا هي حية وأن يخرج يده فإذا هي بيضاء من غير سوء: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ﴾[القصص: ٣٢].

٤) **السلطان**: كما قال الكفار لأنبيائهم: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وأجاب الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ﴾ [المؤمنون: ٤٥، ٤٦][(١)].

ثالثاً: شروط المعجزة[(٢)]:

١) أن تكون من الأمور الخارقة للعادة:

سواء كانت كلامًا كالقرآن الكريم، وتسبيح الحصى بين يدي الرسول ﷺ وحنين الجذع، وكلام الهدهد ونحو ذلك.

أو كانت فعلًا كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام القليل ونحو ذلك.

---

(١) هذه العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تحديد دقيق لتأريخ ظهور مصطلح إعجاز القرآن، وقد ظهر استعمال هذا المصطلح عند النظام "ت٢٣١هـ" أحد أئمة المعتزلة حين زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة – فتصدى له علماء السنة والجماعة وردوا عليه وأبطلوا زعمه فشاع مصطلح المعجزة وقل استعمال مصطلح الآية والبرهان والسلطان وغيرها. ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ. د. فهد الرومي (ص٢٥٩- ٢٦٦).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١/٧٠-٧١) ، مباحث في إعجاز القرآن للدكتور: مصطفى مسلم (ص ١٩-٢٠)، دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد الرومي (ص ٢٦٠-٢٦٢).

أو كانت ترك فعل كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام، وعدم إغراق البحر لموسى عليه السلام وقومه وعدم تأثير السم في جسده ﷺ.

٢) أن يكون الأمر الخارق للعادة من الله:

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقال الأنبياء عليهم السلام:﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١] وحين قال الكفار للرسول ﷺ:﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، أمره الله أن يقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

٣) سلامتها من المعارضة:

إذ لو استطاع البشر الإتيان بمثلها لما صلحت علامة على أن صاحبها مرسل من ربه، فلا بد لكونها علامة على صدق صاحبها في أنه مرسل من ربه أن لا يقدر البشر كلهم بل والجن معهم على الإتيان بمثلها، لأنها من قدرة الله وحده، كما قال تعالى عن القرآن ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:٣٤].

٤) أن تقع وفق مقتضى قول صاحبها:

فلا تقع على خلاف قوله، فإذا جاءت على خلاف قوله لم تصلح دليلًا على دعواه، ولا دليل على صدقه لمخالفتها لمقتضى كلامه كما حدث لأدعياء النبوة.

٥) أن تقترن بالتحدي عند وقوعها:

وذلك لأمرين:

أولهما: إثبات عجز المخاطبين عن الإتيان بمثلها وعدم ادعائهم أو من بعدهم عدم وجود الداعي للإتيان بمثلها.

وثانيهما: إقامة الحجة عليهم عند عجزهم.

٦) أن يستدل بها النبي على صدقه في رسالته:

إذ الغرض من إظهارها إثبات أمرين:

أولهما: أنه صادق في دعوى الرسالة.

ثانيهما: أنه مرسل من الله لا من غيره، فينبغي أن يكون إظهارها لإثبات ذلك لا لغيره دونهما.

٧) أن يكون ظهور المعجزة أو المعجزات بعد دعوى الرسالة:

حتى يصح الاستشهاد بها، أما إذا تقدم وقوع الأمر الخارق على دعوى الرسالة فإنه لا يسمى معجزة وإنما يسمى "إرهاص" كتظليل السحابة للرسول ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة.

وعند إسقاط هذه الشروط على معجزة أحد الأنبياء والرسل عليهم السلام نجدها تنطبق وتتحقق مما يجعلها تتميز عن غيرها من الخوارق والكرامات.

رابعاً: الفرق بين المعجزة وغيرها من الخوارق:

قد تظهر الخوارق على يد أناس صالحين، وربما على يد غيرهم من الفسقة والعصاة والمشعوذين، حينئذ قد يختلط على بعض الناس فلا يميزون بين المعجزة وغيرها، ومن ثم لا يميزون بين الصادق والكاذب، إلا إذا تميزت المعجزة على سائر الخوارق، ومن تلك الخوارق:

الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة[1].

تتفق مع المعجزة: كون مصدرهما واحد من الله، وأن كليهما خارق للعادة.

ويفترقان في جملة الأمور السابق ذكرها.

والكرامة ثابتة بالكتاب والسنة ومن أمثلتها:

١) كرامة السيدة مريم عليها السلام قال تعالى:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران:٣٧].

٢) كرامة صاحب سليمان عليه السلام ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ..﴾[النمل: ٤٠].

---

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص١٨٤).

٣) قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانحدرت على بابه الصخرة ودعوا الله بصالح أعمالهم ففرجت عنهم الصخرة فنجوا[١].

الإرهاص: ما يقع للنبي عليه السلام من خارق للعادة قبل النبوة، مثل تسليم الحجر عليه قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن »[٢].

وهكذا يتبين أن الإرهاص وإن كان أمراً خارقاً للعادة إلا أنه يجري على يد النبي قبل تحمله الرسالة بعكس المعجزة تكون بعد تحمل الرسالة.

الاستدراج: ما يقع من خوارق العادات على يد الفسقة قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) ﴾[الأعراف: ١٨٢].

السحر: **وهو على معانٍ منها**: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كقوله تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)﴾[الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، فالمعجزة تجري على يد نبي لإثبات الرسالة مقرونه بالتحدي وهي من الله، بعكس السحر فإنه يمارس من قبل أي إنسان تعلم فعله، وهو

(١) أخرجه البخاري باب حديث الغار رقم (٣٤٦٥) (٤/ ١٧٢) ، ومسلم باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال رقم (٢٧٤٣) ، (٤/ ٢٠٩٩).

(٢) أخرجه مسلم باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة رقم (٢٢٧٧) ، (٤/ ١٧٨٢).

غير متحدى به، ومصدره عالم الأسباب التي خلق الله وصنعه، ويعد السحر من قبيل الإيهام والتخييل الذي لا يمت للحقيقة بصلة من حيث قبل الحقائق[1].

خامساً: جواز وقوع المعجزة: لا يشك مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون كله صغيره وكبيره ومدبر شئونه، وموجد نظامه، والذي يوجد الشيء من العدم أقدر على تغيير سنة من سننه أو نظام من أنظمته بل أقدر على إعادة خلقه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨- ٧٩].

فالذي جعل النار حارة في قدرته أن يجعلها باردة، والذي خلق القمر قادر على أن يقسمه إلى نصفين، والذي خلق في السم خاصية قادر على سلبها منه، والذي خلق الثعبان من العدم قادر على خلقه من العصا، وهكذا في بقية المعجزات.

ومن يفسّر فلق البحر لموسى عليه السلام بالمد والجزر، والطير الأبابيل بجراثيم الطاعون أو الأمراض المعدية الوبائية.. وغير ذلك من الخوارق، إن هؤلاء يسيئون إلى قضية الإيمان بالغيب وبخالق الكون وبرسل الله المصطفين، وكذلك يسيئون إلى تفكيرهم وإيمانهم وعقيدتهم، وإلا فما المانع عقلا من وقوع المعجزات على يد أناس لهم صلة بالله ذي القوة غير المحدودة؟ أناس اصطفاهم الله سبحانه وتعالى للقيام بدور السفارة بينه وبين خلقه لتبليغهم أحكام دينه الحنيف وشرعه القويم وقد أيدهم بكل ما يسهل عليهم مهمتهم من

(١) ينظر: الإعجاز في القرآن الكريم د. عبدالغني حيدر فارع (ص٢٠-٢٢).

الحجج والبراهين ويظهرهم على خصومهم المعاندين، ومن ينكر هذا فقد أساء الظن بربه وقدرته واعتقد ربوبية إله عاجز عياذًا بالله تعالى[1].

سادساً: وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول:

ليس المقصود بالمعجزة إثبات العجز للخلق لذاته من غير ترتّب مطلب على هذا العجز، بل المقصود لازم هذا العجز؛ وهو إقامة الحجة على أن هذا الادّعاء حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق.

فإعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله يراد من وراء ذلك إقامة الحجة على الخلق كافة، إن هذا الكلام كلام رب العالمين، وإن الرسول الذي أرسل به يبلّغ عن ربه، وإن الأوامر والنواهي التي يحملها هي سبيل النجاة.

وكذلك الشأن في جميع معجزات الأنبياء السابقين، هو إبراز صدق من ظهرت على يديه، ليؤمن بهم الناس ويتبعوهم، وذلك لأن بعثة النبي لا تصح من غير أن يؤتى دلالة ويؤيّد بآية، لأنه لا يتميز من الكاذب بصورته، ولا بقول نفسه ولا بشيء آخر، سوى البرهان الذي يظهر على يديه فيستدلّ به على صدقه، وأنه مبلّغ عن الله سبحانه وتعالى[2].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور: مصطفى مسلم (ص: ٢٣).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص٦٣).

سابعاً: مزايا معجزة رسول الله ﷺ العظمى (القرآن الكريم)[1]:

١) **مواءمة طبيعة الرسالة**: لقد كان الرسول في السابق يرسل إلى قوم مخصوصين أو إلى قبيلة خاصة ولفترة زمنية محددة أحيانا، فكان التحديد زمانا ومكانا وقوما يحدّد مهمة الرسول.

٢) **تميز الرسالة الخاتمة عن الرسالات السابقة**: بشمولها وعمومها وعالميتها زمانا ومكانا ومكلّفين.

٣) **كون القرآن الكريم المعجزة الخالدة**: كانت المعجزة تنتهي بوفاة الرسول ولا يبقى إلا الحديث عنها والأخبار التي يتناقلها أتباع الدين جيلا عن جيل. ولا تنفك المعجزة عن شخص الرسول فلا تبقى بمنأى عنه في الزمان والمكان. أما الرسالة المحمدية فهي مستمرة تقيم الحجّة على الأجيال اللاحقة بصدق الرسول ﷺ وربانية رسالته. فكان الاختيار الرباني أن تكون المعجزة وحيا. روى الشيخان من حديث الليث بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبيّ إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[2].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور: مصطفى مسلم (ص ٣٠)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص١٥).

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن رقم (٤٦٩٦)، (٦/ ٩٧) ، ومسلم في الإيمان رقم (١٥٢)، (١/ ٩٢).

٤) **من المعجزة تستنبط الأحكام الشريعة**: فآية تصديق الرسالة في الرسالة نفسها، وليس في معجزات الأنبياء السابقين ما يستنبط منها حكم تشريعي. وهذه ميزة فريدة لمعجزة رسول الله ﷺ دلالتها على مصدرها الرباني كامن فيها نفسها.

٥) **التحدي الظاهر بهذه المعجزة**: تحدّى الله عز وجلّ أرباب الفصاحة والبيان، بل جميع بني الإنسان، بل حتّى لو ظاهرهم عليه الجانّ، ولم يزل يتحدّى: أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل بعضه، فما فعلوا، ولن يفعلوا. كما قال جلّ وعلا: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]، تحدّاهم بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله، على مثاله في النّظم والتّأليف والإحكام، وفي المعاني والدّلالات والأحكام، فعجزوا عن معارضته في كلّ ذلك، عن مماثلته بعباراتهم، أو مجاراته ببيانهم، أو مسابقته بقوانينهم وشرائعهم.

وبهذه المزايا الفريدة لم تكن هذه المعجزة دليل صدق رسول الله ﷺ فحسب بل كانت شاهد الصدق على رسالات الأنبياء السابقين وتبليغهم رسالات ربهم لأممهم.

ثامناً: مقدار المعجزة من القرآن الكريم:

الصحيح أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى:﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[الطور:٣٤]، والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار، والله أعلم.

والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصًّا بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقى القرآن يعلن للناس تحديه فقوله عز شأنه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ..﴾ [الإسراء:٨٨] الآية، عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور.

ولأن القرآن خاتم الكتب والرسول ﷺ خاتم الرسل والإسلام خاتم الأديان، فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول.

ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضها أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم سلفًا بعجزهم عن ذلك فإن من بعدهم أعجز وأبعد عن الاستطاعة، فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة[1].

(١)ينظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور: مصطفى مسلم (ص ٣٠)(ص ٢٧١-٢٧٢).

تاسعاً: مراحل التحدي بالقرآن :

ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس آيات من خمس سور هي على ترتيب السور:

١) في سورة البقرة: الآية ٢٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾ الآية.

٢) في سورة يونس: الآية ٣٨ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ الآية.

٣) سورة هود: الآية ١٣﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

٤) سورة الإسراء: الآية ٨٨﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

٥- سورة الطور: الآية ٣٣، ٣٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

والتحدي في هذه الآيات جاء مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة، ومرة بحديث مثله، والقرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز، فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم وبالنوع لا بالمقدار فلا يهم إذًا أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله.

واستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور، واستحالة المجيء بمثل القرآن كله على حد سواء فكل ذلك متعذر، ولذا فلا أثر للاختلاف في ترتيب آيات التحدي ما دام لا يترتب عليه أثر في قوة التحدي والعجز كان عن الإتيان بجنس القرآن لا عن مقداره[1].

(١)ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ. د. فهد الرومي (ص ٢٧٠-٢٧١).

عاشراً: أهم المؤلفات في إعجاز القرآن[1]:

أول كتاب يحمل هذا المصطلح في عنوانه فهو كتاب: "**إعجاز القرآن**" الذي ألفه محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ، وهو كتاب مفقود.

المؤلفات القديمة المطبوعة في هذا المجال:

١) "**النكت في إعجاز القرآن**" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني "ت٣٨٤هـ" وهو من أئمة المعتزلة، وهو أقدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل إلينا.

٢) "**النكت في إعجاز القرآن**": لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني "ت٣٨٤هـ".

٣) "**بيان إعجاز القرآن**": لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي "ت٣٨٦هـ".

٤) " **إعجاز القرآن**": لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني "ت٤٠٣هـ".

٥) "**دلائل الإعجاز**": لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني "ت٤٧١هـ".

٦) "**نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**": للفخر الرازي "ت٦٠٦هـ" اختصر فيه كتابي "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" لعبد القاهرة الجرجاني.

٧) "**البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**": لعبد الواحد الزملكاني"ت٦٥١هـ".

٨) "**معترك الأقران في إعجاز القرآن**": لجلال الدين السيوطي "ت ٩١١هـ".

وأما المؤلفات الحديثة: فكثيرة جدًّا في مختلف أوجه الإعجاز، ومن أشهرها:

---

(١) للمعتزلة عناية خاصة بإعجاز القرآن ولعل عنايتهم تلك نتيجة عدم اعتمادهم في إثبات نبوة محمدﷺ إلا على معجزة القرآن دون سواها من المعجزات، ولهذا كثرت مؤلفات في إعجاز القرآن وبلاغته ومناظراتهم ومجادلاتهم وشطحاتهم.

١) "**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**": للأستاذ مصطفى الرافعي "ت١٣٥٦هـ"، وهو بحق من أفضل المؤلفات في موضوعه قديمًا وحديثًا.

٢) " **النبأ العظيم** ": د. محمد عبد الله دراز "ت١٣٧٧هـ"، وهو كتاب في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

٣) " **مباحث في إعجاز القرآن** ": د. مصطفى مسلم، وهو كتاب قيم.

٤) " **فكرة إعجاز القرآن** ": نعيم الحمصي، وهو في أصله مقالات نشر.

٥) " **البيان في إعجاز القرآن** ": د. صلاح الخالدي.

وهناك مؤلفات أخرى في هذا الفن وليس من السهل حصرها كلها[١].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ. د. فهد الرومي (ص ٢٦٧-٢٦٩).

الحادي عشر: وجوه إعجاز القرآن:

يعسر أن تحدّ وجوه الإعجاز في القرآن العظيم، فكلّ شيء منه لا نظير له، فهو باهر في ألفاظه وأسلوبه، في تأليفه ونظمه، في بيانه وبلاغته، في تشريعه وحكمه الّتي حيّرت الألباب، في أنبائه وأخباره، في تاريخه وحفظه، في علومه الّتي لا تنقطع ولا تقف عند غاية.

وقد أوصلها بعضهم إلى عشرة وجوه، ومنهم من نيف على ذلك، ومنهم من جعل وجوه الإعجاز وجها واحدا ونافح عنه وأورد الاعتراضات على سواه، ومن يتتبّع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء قديما وحديثا يجد كثيرا منها تتداخل أو تتشابه ويمكنه بعد الاستقراء والتحقق أن يجمع بين كثير منها.

نجد أن وجوها كثيرة تدور حول الأداء البياني وأسلوب القرآن الكريم المتميّز في ذلك... ووجوه تنصب على الهدايات في القرآن الكريم ومراميه في إسعاد البشرية بإخراجها من الظلمات إلى النور وإيصالها إلى دار السعادة والنعيم المقيم... ومن الوجوه ما يتعلق بالإخبار عن الغيوب... ومنها ما اشتمل على إشارات وإيحاءات إلى سنن الله في الكون والطبيعة والحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

لذا يمكن أن نجمع الأقوال جميعا في أربعة وجوه وهي:

أوّلاً: الإعجاز البياني.

ثانياً: الإعجاز الغيبي.

ثالثاً: الإعجاز التشريعي.

رابعاً: الإعجاز العلمي.

المبحث الأول:

الإعجاز البياني، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإعجاز البياني ومكانته.

المطلب الثاني: أقسام الإعجاز البياني.

المطلب الثالث: وجه دلالة الإعجاز البياني على مصدر القرآن.

المطلب الرابع: جوانب الإعجاز البياني، وفيه:

أولاً: إعجازه في بلاغته وفصاحته.

ثانياً: النظم القرآني (جزالته وتناسقه).

ثالثاً: اسلوب القرآن.

المطلب الخامس: نماذج لبلاغة القرآن وفصاحته.

❖ مفهوم الإعجاز البياني:

إعجاز يتعلق ببديع الألفاظ، وعجيب التأليف، وتناهي البلاغة، وصحة المعنى.

يطلق على هذا الوجه عدة مصطلحات فيسمى:

١) "الإعجاز اللغوي".

٢) و"الإعجاز البياني".

٣) و"الإعجاز البلاغي" وتدخل في هذا المعنى أيضًا أقوالهم المختلفة في أن إعجاز القرآن "بلاغته"، أو "فصاحته"، أو "ما تضمنه من البديع"، أو "نظمه"، أو "أسلوبه"، أو غير ذلك من فروع اللغة العربية.

❖ المطلب الأول: أهمية الإعجاز البياني ومكانته:

يعد هذا النوع من الإعجاز هو أهم وجوه الإعجاز القرآني وأظهرها بل أهمها على الإطلاق؛ لأنه يتعلق بالقرآن ذاته في بنيته اللغوية التي لا ينفك عنها، ولا يرتبط بحال المنول عليه، أو حال المخاطبين، أو الفترات الزمنية.

وهو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا، وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك، فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها، والقوم أدركوا أول ما أدركوا إعجازه البياني فملك منهم الألباب واستولى على الأفئدة.

وهذا النّوع أبرز ما تحدّى به القرآن العرب في حياة النّبيّ ﷺ وقد عجزوا عن معارضته ولو بسورة من مثله.

قال ابن عطيه: الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره.

ثم قال: كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد[1]. وهو أول ما تناوله العلماء بالبحث والتأليف.

قال ابن عاشور في أهمية هذا الوجه: فنرى ملاك وجوه الإعجاز راجعا إلى ثلاث جهات:

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني والقاضي عياض[2].

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ١٠٤).

المطلب الثاني: أقسام الإعجاز البياني:

مما يلحظ في الإعجاز البياني أنه يصعب حصر فروع هذا النوع من الإعجاز فهو إعجاز في الحرف، والكلمة، والجملة، والسورة، والأسلوب، وإعجاز شمل جميع فنون الباغة من تشبيه واستعارة، وغير ذلك فكلها موجودة فيه، في الوقت الذي لا نجد فيه عيباً، ولا نقصاً، ولا قصورا، ولا خطأً[1].

وجه دلالة الإعجاز البياني على مصدر القرآن:

من خلال استعراضنا لجوانب من بيان القرآن الكريم مما يتعلق بفصاحته وبلاغته ونظمه وأسلوبه، وذكر الأمثلة على ذلك من الآيات الكريمة، يتضح لكل منصف أن أفانين القول التي وردت في القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته لا تخلو آية من آياته عن نكتة لطيفة أو حكمة طريفة أو بيان مفحم أو عبارة تأخذ بالألباب وتحير العقول بجمالها وبلاغتها.

ولهذا كان بيانه كالسحر الحلال يستولي على عقل السامع ويسلبه إرادته ويسخره لأغراضه، ولهذا كان القرآن معجزا، أعجز الثقلين أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فكان المعجزة الخالدة المستمرة إلى يوم القيامة والحجة القاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن الأسلوب المتميز من بين الأساليب الذي اختص به القرآن الكريم، والنظم المحكم

---

(١) الإعجاز في القرآن الكريم، د. صالح صواب (ص ٤٢).

الدقيق الذي لا تكاد العقول تدرك بعض خصائصه إلا ويبهرها الجمال وتسيطر عليها الدهشة، مع استمرار الفصاحة والبلاغة من أول آياته إلى آخرها لدليل واضح على أن هذا الكتاب الكريم ليس من صنع البشر وإنما هو تنزيل من خالق القوي القدير: ﴿ وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[الفرقان: ٥، ٦]، ﴿ وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[يونس: ٣٧].

المطلب الثالث: محاكاة القرآن:

قال تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾[البقرة: ٢٣-٢٤].

قال ابن عاشور: فقد اشتملت هذه الآية على أصناف من الإعجاز إذ نقلت الإعجاز بالتواتر وكانت ببلاغتها معجزة، وكانت معجزة من حيث الإخبار عن المستقبل كله بما تحقق صدقه فسبحان منزلها ومؤتيها.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ من أكبر معجزات القرآن فإنها معجزة من جهتين: الأولى أنها أثبتت أنهم لم يعارضوا لأن ذلك أبعث لهم على المعارضة لو كانوا قادرين، وقد تأكد ذلك كله بقوله قبل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ٢٣]، وذلك دليل العجز عن الإتيان بمثله فيدل على أنه كلام من قدرته فوق طوق البشر. الثانية أنه أخبر بأنهم لا يأتون بذلك في المستقبل فما أتى أحد منهم ولا ممن خلفهم بما يعارض القرآن فكانت هاته الآية معجزة من نوع الإعجاز بالإخبار عن الغيب مستمرة على تعاقب السنين، ولذلك حسن موقع (لن) الدالة على نفي المستقبل[1].

قال الأديب الرّافعيّ: «فقطع أنّهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلّا من الله، ولا يقولها عربيّ في العرب أبدا، وقد سمعوها واستقرّت فيهم ودارت على الألسنة،

(١)ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٣٤٢-٣٤٣).

وعرفوا أنّها تنفي عنهم الدّهر نفيا، وتعجزهم آخر الأبد، فما فعلوا ولا طمعوا أن يفعلوا، وطارت الآية بعجزهم وأسجلته عليهم ووسمتهم على ألسنتهم، فلمّا رأوا هممهم لا تسمو إلى ذلك، ولا تقارب المطمعة فيه، وقد انقطعت بهم كلّ سبيل إلى المعارضة، بذلوا له السّيف، وانصرفوا عن توهّن حجّته إلى تهوينها على أنفسهم بكلام من الكلام، فقالوا: ساحر، وشاعر، ومجنون، ورجل يكتتب أساطير الأوّلين، وإنّما يعلّمه بشر، وأمثال ذلك، ممّا أخذت به الحجّة عليهم، وكان إقرارا منهم بالعجز، إذ جنحوا فيه إلى سياسة الطّباع والعادات»[1].

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرّافعي (ص ١١٨).

أسماء قوم قد زعموا أنهم عارضوا القرآن:

١) **مسيلمة بن حبيب الكذاب**[١].

٢) **عَبَهلة بن كعب الذي يقال له الأسود العنسي**[٢].

٣) **طليحة بن خويلد الأسدي** [٣].

٤) **سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية**[٤].

٥) **النضر بن الحارث**[٥].

٦) **ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور**[٦].

٧) **أبو الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي**[٧].

٨) **أبو الطيب المتنبي** (ت ٣٥٤ هـ)[١]

---

(١)تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله ﷺ،وقد زعم مسيلمة أن له قرآناً نزل عليه من السماء ويأتيه به ملك يسمى رحمن...بيد أن قرآنه إنما كان فصولاً وجملاً، بعضها مما يُرسله، وبعضها مما يترسل به في أمر إن عرض له.

(٢)وكان رجلاً فصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب! وقد تنبأ على عهد النبي ﷺوخرج باليمن.

(٣)قدم على النبي ﷺ في وفد أسد بن خزيمة سنة تسع فأسلموا ثم لما رجعوا تنبأ طليحة، وعظم أمره بعد أن توفي رسول اللهﷺ ولكنه لم يدع لنفسه قرآناً: لأن قومه من الفصحاء.

(٤)ولم تدع قرآناً، وإنَّما كانت تزعم أنه يوحى إليها بما تأمر وتسجع في ذلك سجعاً.

(٥)وهذا ومن يجيء بعده لم يدعوا النبوة ولا الوحي ولكنهم زعموا أنهم يعارضون القرآن، فلفق النضر هذا شيئاً من أخبار الفرس وملوك العجم، ومخرق بذلك لأنه جاء بأخبار يجهلها العرب.

(٦)زعموا أنه اشتغل بمعارضة القرآن مدة ثم مزَّق ما جمع واستحيا لنفسه من إظهاره.

وإنما نسبت المعارضة لابن المقفع دون غيره من بلغاء الناس، لأن فتنة الفرق الملحدة إنما كانت بعده،

(٧) وكان رجلاً غلبت عليه شِقوة الكلام؛ المعري – رحمه الله – قد أثبت إعجاز القرآن فيما أنكر من رسالته على ابن الراوندي، فقال: " وأجمعُ ملحد ومهتدي، وناكب عن المحجة ومقتدي.

٩) **أبو العلاء المعري** (ت٤٤٩هـ)[٢].

وإذا قيل لك إن فلاناً يزعم إمكان المعارضة ويحتج لذلك وينازع فيه، فاعلم أن فلاناً هذا في الصناعة أحد رجلين اثنين: إما جاهلٌ يصدق في نفسه، وإما عالم يكذب على الناس؛ ولن يكون (فلان) ثالث ثلاثة![٣].

(١) فقد ادعى النبوة في حدثان أمره، وكان ذلك في بادية السمَّاوة (بين الكوفة والشام).

(٢) فقد زعم بعضهم أنه عارَض القرآن بكتاب سماه (الفصول والغايات، في مجاراة السور والآيات) وأنه قيل له: ما هذا إلا جيد، غير أنه ليس عليه طلاوة القرآن! فقال: حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة، وتلك لا ريب فرية على المعري أراده بها عدو حاذق، لأن الرجل أبصر بنفسه وبطبقة الكلام الذي يعارضه، وما نراه إلا أعرف الناس باضطراب أسلوبه والتواء مذهبه، وأن البلاغة لا تكون مراغمة للغة، واغتصاباً لألفاظها على أن المعري – رحمه الله – قد أثبت إعجاز القرآن فيما أنكر من رسالته على ابن الراوندي.

(٣)ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي (ص١٢٠-١٢٩).

المطلب الرابع: جوانب الإعجاز البياني:

أولاً: إعجازه في بلاغته وفصاحته:

أ) الإيجاز[1]:

١) **إيجاز الحذف**: وهو ما اسقطت فيه كلمة للاستغناء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام.

المثال الأول: حذف الأجوبة في القرآن الكريم وهو أبلغ من الذكر نحو قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: ٣١]، حذف جواب لو: كأنه قيل: لكان هذا القرآن، أو لما آمنوا، والحذف أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب[2].

المثال الثاني: حذف الإضافة نحو قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية.

٢) **إيجاز القصر**: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.

المثال الأول: قوله تعالى في سورة النحل:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [سورة النحل: ٩٠].

---

(١) عرفه الرماني بقوله: الإيجاز: تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ينظر: النكت في اعجاز القرآن، الرمّاني، (ص ٧٧).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص٢٦٢).

- أمر الله سبحانه وتعالى في أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى في وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغي، ووعظ في آخرها وذكّر، فجمع في هذه ضروبا من البيان وأنواعا من الإحسان.

- ذكر العدل والإحسان، والفحشاء والمنكر بالألف واللام التي هي للاستغراق، أي استغراق الجنس المحتوي على جميع أنواعه وضروبه.

- وفي نهايتها الطباق اللفظي والطباق المعنوي: أما اللفظي ففي قوله (يأمر... وينهى). وأما المعنوي ففي قوله: العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وقوله: الفحشاء والمنكر والبغي، فإن الثلاثة الأواخر من القبيح. فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية.

- ثم بين خصوصية ذوي القربى بإعادة الايصاء عليهم والإيتاء لهم ومع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم.

- وبدأ بالعدل لأنه فرض، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه وقد يجب، فاحتوت الآية على حسن النسق.

- وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه بالإحسان الذي هو جنس عام، وخص منه نوعا خاصا وهو إيتاء ذي القربى.

- ثم أتى بالأمر مقدما، وعطف عليه النهي بالواو.

- ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات في العطف بحيث لم يتأخر في الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره.

– ثم ختم ذلك كله بأمور مستحسنة ودعا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا وأشتات من الأوامر والنواهي والمواعظ والوصايا، ما لو بث في أسفار عديدة لما أسفرت عن وجوه معانيها، ولا احتوت على أصولها ومبانيها [1].

- **المثال الثاني**: قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]، وفيه مقارنة بين كلام موجز من القرآن الكريم وبين كلام موجز ورد عن العرب وذلك قولهم: (القتل أنفى للقتل).

وأبرز العلماء بلاغة العبارة القرآنية على الثانية بعشرين وجها أو أكثر هي:

١) أن ما يناظره من كلامهم هو قوله: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ أقل حروفا، فإن حروفها اثنا عشر حرفا، وحروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر.

٢) أن نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

٣) أن تنكير حياة يفيد تعظيما، فتدل على أن في القصاص حياة متطاولة كقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ﴾[البقرة: ٩٦]. ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

(١)ينظر: الفوائد المشوق لابن القيم (ص ٦٩) ، مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم (ص١٢١-١٢٢).

٤) أن الآية مطردة بخلاف المثل، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدعى له، وهو القتل ظلما، وإنما ينفيه قتل خاص، وهو القصاص ففيه حياة أبداً.

٥) أن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل، والخالي من تكرار أفضل من المشتمل وإن لم يكن مخلا بالفصاحة.

٦) أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم فإن فيه حذف (من) التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها، وحذف (قصاصا) مع القتل الأول و (ظلما) مع القتل الثاني، والتقدير القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما من تركه.

٧) أن في الآية طباقا معنويا، لأن القصاص مشعر بضد الحياة، بخلاف المثل.

٨) أن الآية اشتملت على فن بديع، وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت، محلا ومكانا لضده، الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة، وذلك بجعل القصاص كالمنبع للحياة والمصرف لها، وذلك مستفاد من كلمة (في) الداخلة على القصاص.

٩) أن في المثل توالي أسباب كبيرة خفيفة، وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره فإن اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون، فالحركات تنقطع بالسكنات. نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فجثت، ثم تحركت فجثت لا يتبين انطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره، فهي كالمقيدة.

١٠) أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر، ولأن الشيء لا ينفي نفسه.

١١) سلامة الآية من تكرار قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعده عن غنة النون.

١٢) اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق. بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض، فهو غير ملائم للقاف، كذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدها دون طرف اللسان.

١٣) في النطق بالصاد والحاء والقاف حسن الصوت، ولا كذلك تكرار القاف والتاء.

١٤) سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة، بخلاف لفظ الحياة فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل.

١٥) أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة، فهو منبئ عن العدل بخلاف مطلق القتل.

١٦) الآية مبنية على الإثبات، والمثل مبني على النفي، والإثبات أشرف لأنه أول والنفي ثان عنه.

١٧) أن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله ولكم في القصاص حياة، مفهوم من أول وهلة.

١٨) أن في المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد، والآية سالمة منه.

١٩) أن أفعل في الغالب تقتضي الاشتراك، فيكون ترك القصاص نافيا للقتل، ولكن القصاص أكثر نفيا، وليس الأمر كذلك، والآية سالمة منه.

٢٠) أن الآية رادعة عن القتل والجرح معا لشمول القصاص لهما، والحياة أيضا في قصاص الأعضاء، لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل.

٢١ – في أول الآية (لكم) وفيها لطيفة، وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم [١].

إيجاز التقدير: وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق :

قوله:﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾[هود:٤٤].

أمر ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى قص من الأنباء مالو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي.

قال ابن أبي الإصبع: ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾ [هود:٤٤].

(١)ينظر: هذه المقارنة في البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٢٢٢ –٢٢٣) ، «غرائب القرآن» للنيسابوري (٢/ ٩٠)، والاتقان للسيوطي (٣، ١٨٦–١٨٨).

فإن فيها عشرين ضرباً، وهي سبع عشرة لفظة، وذلك:

للمناسبة التامة في: ﴿ابلعي﴾ و﴿أقلعي﴾.

والاستعارة فيهما.

والطباق بين الأرض والسماء.

والمجاز في قوله: ﴿يَا سَمَاءُ﴾، فإن الحقيقة يا مطر السماء.

والإشارة في: ﴿وغيض الماء﴾، فإنه عبر به عن معان كثيرة، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فينقص الحاصل على وَجْه الأرض من الماء.

والارداف في: ﴿واستوت﴾.

والتمثيل في: ﴿وقضي الأمر﴾.

والتعليل: فإنَّ ﴿غِيضَ الْمَاءُ﴾ عِلّة الاستواء.

وصحة التقسيم: فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، والماء النابع من الأرض، وغَيْض الماء الذي على ظهرها.

والاحتراس في الدعاء: لئلا يتوهَّم أن الغرق لعمومه شمل مَن لا يستحق الهلاك، فإنَ عَدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق.

وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع المعنى.

والإيجاز، فإنه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة.

والتسهيم، لأن أول الآية يدل على آخرها.

والتهذيب: لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب.

وفي العجائب للكرماني: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال[1].

ب) التشبيه[2]:

- **مثاله**: قوله تعالى:﴿إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾ [يونس: ٢٤]. في الآية عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضّيها، وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها، بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا

---

(١)ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٢٢٧) ، معترك الأقران للسيوطي (٢٢٦/١) ، الاتقان للسيوطي (١٨٤/٣).

(٢) التشبيه: في اللغة: التمثيل، يقال فلان شبيه بفلان، وفي الاصطلاح: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر، فى معنى مشترك بينهما بأداة مذكورة أو مقدرة، لغرض يقصده المتكلم. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص١٢١)، بغية الإيضاح (٧/٢)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص ٥١٦).

طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس.

استخدم في هذا المشهد الوسائل المقصرة لعرض مراحل النبات:

- فالفاء التعقيبية تطوي المسائل بسرعة عظيمة، ما كاد الماء ينزل من السماء حتى اختلط به نبات الأرض مباشرة، وأصبح فجأة في متناول الناس يأكلونه والأنعام تتمتع به، إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعامُ﴾

- استخدمت (حتى) الدالة على امتداد الصور امتدادا يعرف أوله ويجهل منتهاه.

- وتتابعت أوصاف الغرور الإنساني تترى، لكل وصف منها تعبير متمهّل متبطّئ، فأما الأرض فشخصت مرتين، وقامت بحركتين، إذ أخذت بنفسها زخرفها كما تفعل العروس في جلوتها، وتطلبت الزينة تطلبا وسعت إليها سعيا فلم تزين ولكنها ازينت.

-وأما أهل الأرض فانتفخت أوداجهم زهوّا واختيالا وصعّروا خدودهم عجبا وكبرا وأيقنوا- وإن كان يقينهم ظنا وخيالا- أنهم في الأرض على كل شيء قادرون، ولكن الظن لا يغني من الحق شيئا. -- - وهذه الآماد الطوال كلها ليست إلا ومضات خيالية تزول كما تزول الأطياف. ففي لحظة من ليل أو نهار يأتي تلك الأرض أمر الله فيطوي تلك الأخيلة الكواذب في وقت كلمح البصر بل هو أقرب، إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) [يس: ٨٢].

– وانظر ما من زخرف وما من زينة، ثم انظر فالناس المغرورون أعجز من أن يتصوروا ولو بالخيال ربوعهم ومغانيهم في تلك الأرض التي أصبح نباتها حصيدا هشيما تذروه الرياح [(١)].

ج) الاستعارة[(٢)]:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:٤]. أصل الاشتعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ. وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايدا سريعا صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار[(٣)].

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء: ١٨]. فالقذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ، وحقيقته: بل نورد الحق على الباطل فيذهبه.

وإنما كانت الاستعارة أبلغ لأن القذف دليلا على القهر، لأنك إذا قلت: قذف به إليه فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة

---

(١)ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٧٠)، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص ٣٢٢- ٣٢٤)، مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم (ص١٣٠-١٣١).

(٢) الاستعارة: هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الوضعي» ينظر: البلاغة الواضحة (ص ٨٥).

(٣)النكت في اعجاز القرآن، الرمّاني، (ص ٨٨).

القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب، و(يدمغه) أبلغ من (يذهبه)، لما في يدمغه من التأثير فيه، فهو أظهر في النكأة وأعلى في تأثير القوة[1].

ثانياً: النظم القرآني (جزالته وتناسقه):

ويقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.

والفرق بين الأسلوب والنظم: أن دائرة الأسلوب أوسع وأشمل ولا يدرك الأسلوب بالجملة الواحدة [1]، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة بل وحتى في الكلمة الواحدة.

إن المتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئا خارجا عن المألوف المتداول في لغة العرب قديما وحديثا، ولكن عند ما نتلو آيات الله نشعر أن للعبارة القرآنية كيانا خاصا بنى عليه تراكيبه ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد.

فالكلام كما عهدته العرب شعر ونثر وما هو بين الشعر والنثر وهو السجع، ولو كان لإنسان عربي أن يتكلم أو يكتب أو يعلم أو يشرع أو يلفظ لما خرج في نظم كلامه أو تأليفه عن أخذ هذه الأنواع المعهودة عند العرب.

(١)النكت في اعجاز القرآن، الرمّاني، (ص ٨٩).

التناسق بين العبارة والموضوع الذي يراد تقريره:

إن الذي يتمعن النظر في النظم القرآني يلاحظ التناسق الكامل والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنى الذي يراد بيانه وتوضيحه؛ فالألفاظ في النظم يلائم بعضها بعضا وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود بحيث إذا كان المعنى غريبا كانت ألفاظه غريبة وإذا كان المعنى معروفا مستحدثا كانت الألفاظ تناسبها، **ومن الأمثلة على ذلك** :

- قوله تعالى:﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ﴾[الأنبياء: ٤٦]، في سياق بيان الضعف البشري أمام جبروت الخالق تبارك وتعالى فأراد بيان ضعفهم أمام العذاب الخفيف القليل فأتى بكلمات كلها تتجه إلى إظهار الغرض وهو وصف للعذاب بالقلة:

- فأتى ب (إن) التي تفيد التشكيك في وقوعه.

- وأتى بكلمة (المسّ) بدل الإصابة أو الحرق فهو دونها في المرتبة ودون الدخول.

- وكذلك كلمة (نفحة) مع تنوينها المشعر بضعف العذاب وحقارته.

- و(من) المفيدة للبعضية فلم يأتهم كل العذاب وإنما هي نفحة عابرة يسيرة من جزء صغير من العذاب.

- ثم العذاب لم يضف إلى اسم دال على القهر والجبروت بل أضيف إلى أرق اسم دال على الشفقة وهو (رب).

- ثم أضيف الرب إلى مقرّب محبوب وهو ضمير خطاب رسول الله ﷺ.

إن الكلمات كلها مسوقة إلى هدف واحد وهو وصف هذا العذاب بالقلة والضآلة والحقارة ليبيّن بالتالي أن المذنبين يندمون ويتأسفون على ما عملوا عند تعرضهم لنفحة بسيطة من عذاب الله ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾[1].

(١)ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلم (ص١٣٦).

ثالثاً: اسلوب القرآن[1]، وله صور عدة في القرآن:

أ- الحروف المقطعة في أوائل السور:

وقد نبه الإمام الزركشي إلى الإعجاز في الحروف المقطعة بقوله: السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ فإن السورة مبنية على الكلمات القافية التي ترددت فيها كثيراً...، وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح.

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ إلى آخر كلامهم ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود ثم اختصامه ثانيا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم.

وكذلك سورة: ﴿ن والقلم﴾ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما تضمنت من الألفاظ النونية[2].

ب- **إرضاؤه العقل والعاطفة:** ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع الحق والجمال معا، قال الله سبحانه في سورة ق:﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

---

(١)اسلوب القرآن: طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه وانتقاء ألفاظه وإحكام تراكيبه، ينظر: مناهل العرفان للزرقاني(٢/٣٠٣).

(٢)ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي (ص١٢٠-١٢٩).

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ، رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تأمل في الأسلوب البارع الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل إذ قال في الآية الأولى إن الذي أحياها لمحي الموتى وفي الآيات الأخيرة كذلك الخروج يا للجمال الساحر ويا للإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معا بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات![1].

ت- **جودة سبك القرآن وإحكام سرده:** ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجملة وآياته وسورة مبلغا لا يداينه فيه أي كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد، وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدته وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة فبين كلمات الجملة السورة الواحدة من والتناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين حمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا سوي الخلق حسن السمت ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ فكأنما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار على

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني(٢/٣١٤).

حين أنها مؤلفة من حلقات لكل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء ولكل جزء موضع خاص من الحلقة ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة وحدة بديعة متآلفة تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء ثم بين كل حلقة وحلقة ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها.

يعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه من غير تفكك ولا تخاذل ولا انحلال ولا تنافر بينما الموضوعات مختلفة متنوعة فمن تشريع إلى قصص إلى جدل إلى وصف إلى غير ذلك وكتب التفسير طافحة ببيان المناسبات فنحيلك عليها ونكتفي بمثل واحد نضربه مع الاختصار والاقتصار.

مثاله: هذه سورة الفاتحة تأمل كيف تترابط وتتناسق في حسن تخلص من معنى إلى معنى ومن مقصد إلى مقصد لقد افتتحت متوجة "باسم الله" كما يتوج القاضي كل حكم من أحكامه باسم جلالة الملك لإعلان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور أحكامه ثم انتقل الكلام فيها سريعا إلى الاستدلال على أن الاستعانة إنما هي به تعالى وحده وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة الذي هو اسم الذات الجامع لصفات الكمال وبوصف لفظ الجلالة بأنه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم انتقل الكلام إلى إعلان أنه تعالى مستحق للمحامد كلها ما دام أنه المستعان وحده بالدليل ثم انتقل الكلام إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الجلالة مجرى الأوصاف في مقام حمده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم انتقل الكلام إلى إعلان وحدانيته في

ألوهيته وربوبيته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما دام أنه هو المعين وحده ومستحق المحامد كلها وحده ثم انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان وأن هذا المطمح الأعلى هو الهداية إلى الصراط المستقيم وأنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطمح عن طريق أحد إلا عن طريق الله وحده بقرينة ما سبق من أدلة التوحيد والتمجيد قبله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثم انتقل الكلام من حيث لا تشعر أو من حيث تشعر إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام تنبيها وإغراء على المقصود وتحذيرا وتنفيرا من الوقوع في نقيض هذا المقصود ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ وإذا الناس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق واتباعه ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به وضال رضي أن يعيش عيشة الأنعام في متاهة الجهالة والحيرة والضلال لا يكلف نفسه عناء البحث عن الحق ليتشرف بمعرفته ويسعد باتباعه ثم تنظر في سورة البقرة فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المفصل بالمجمل فالهداية إلى الصراط المستقيم صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين تشرحها سور البقرة وما وليها من سورة القرآن حيث جاءتنا بتفاصيل هذه الهداية في بيان كامل وعرض شامل.

ث- براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام:

- ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء ولسنا هنا بسبيل الاستيعاب والاستقراء ولكنها أمثلة تهديك ونماذج تكفيك، **ومنها:**

- **تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:**

١) الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء:٥٨].

٢) طلب الفعل بصيغة فعل الأمر نحو:﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾[البقرة:٢٣٨] أو بلام الأمر نحو﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

٣) الأخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين نحو:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣].

٤) الأمر بصيغة الخبر نحو:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[البقرة:٢٢٨] أي مطلوب منهن أن يتربصن.

- **تعبيره عن النهي بصيغ متنوعة منها:**

١) الإتيان في جانب مادة الفعل بمادة النهي نح: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾[الممتحنة:٩].

٢) الإتيان في جانبه بمادة التحريم نحو:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

٣) نفي الحل عنه نحو ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾[النساء:١٩]

٤) النهي عنه بلفظ لا نحو:﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

- **تعبيره عن إباحة الفعل بالطرق الآتية:**

١) التصريح في جانبه بمادة الحل نحو:﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾[المائدة: ١].

٢) نفي الإثم عن الفعل نحو ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:١٧٣].

٣) نفي الحرج عنه نحو:﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ أي في ترك القتال أو في الأكل من البيوت.

٤)الامتنان بالشيء ووصفه بأنه رزق حسن نحو:﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾[النحل:٦٧] [(١)].

ج- **قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى:**

ومعنى هذا إنك في كل من جمل القرآن تجد بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن يزيد اللفظ على المعنى أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير تجده قد جلى لك المعنى في صورة كاملة لا تنقص شيئا يعتبر عنصرا أصليا فيها أو حلية مكملة لها كما أنها لا تزيد شيئا يعتبر دخيلا فيها وغريبا عنها بل هو كما قال الله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:٢].

ويمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾[الزخرف:٧١]، قال بعضهم جمع بهاتين اللفظين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه[(٢)].

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني(٢/٣١٨-٣٢٢).

(٢)ينظر: الاتقان للسيوطي (٣/ ١٨٥).

المطلب الخامس: نماذج لبلاغة القرآن وفصاحته:

١) **قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)﴾[النمل: ١٨].**

جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام، نادت وكنَتْ، ونبّهت وسمت، وأمرت وقصَّت، وحذَّرت، وخصَّت وعمَّت، وأشارت وأعذرت.

فالنداء: يا.

والكناية: أي.

والتنبيه: ها.

والتسمية: ﴿ النَّمْلُ﴾.

والأمر: ﴿ادخُلُوا﴾.

والقصص: ﴿مساكنكم﴾.

والتحذير: ﴿ لا يحطمنَّكم﴾.

والتخصيص: ﴿سليمان﴾.

والتعميم: ﴿جنوده﴾.

والإشارة: ﴿وهم﴾.

والعذر: ﴿لا يشعرون﴾.

فأدت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان.

فحق الله أنها استرعيت على النمل فقامت بحقهم وحق سليمان أنها نبهته على النمل وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحهم وحق الجنود بنصحها لهم ليدخلوا مساكنهم وحق الجنود إعلامها إياهم وجميع الخلق أن من استرعاه رعية فوجب عليه حفظها والذب عنها[1].

٢) **قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:٣١].**

جمع فيها أصول الكلام: النداء، والعموم، والخصوص، والأمر، والإباحة، والنهي، والخبر.

وقال بعضهم: جمع الله الحكمة في شطر آية: ﴿وكلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفوا﴾[الأعراف:٣١] [2]..

٣) **قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾[القصص: ٧].**

﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ خبر.

و﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أمر.

و﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ﴾ أمر.

﴿وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي﴾ نهيان.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرْسَلِينَ﴾ بشارتان.

---

(١)ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٢٢٧) ، معترك الأقران للسيوطي (٢٢٦/١).

(٢)ينظر: معترك الأقران للسيوطي (٢٢٦/١).

روي عنِ الأصمعي: كلّمَتِني جاريةٌ أعرابيةٌ فاستَفصحْتُ كلامَها؛ فقالت: أينَ أنتَ مِنْ كلامِ الله: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ كيفَ جَمَعَ بينَ أمرينِ ونَهيَيْنِ وبشارتَيْن؟ !

قال ابن العربي: هي من أعظم آي في القرآن فصاحة إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان[1].

ويبقى كتاب الله الخالد ومعجزة رسوله الباقية المعين الثرّ والنبع المتدفق للمعارف الراقية والدراسات المتجددة ولن تنقضي عجائبه ولن يحيط بأسراره مخلوق مهما أوتي من العلم والحكمة.

أبرز التفاسير المعتنية بالإعجاز البياني:

١) الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، والمفسرون في البلاغة عالة عليه.

٢) وروح المعاني للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ).

٣) وفي ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٣٦٠هـ)

٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ).

٥) التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ).

(١) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١١/١٢)

المبحث الثاني:

الإعجاز التشريعي، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز التشريعي.

المطلب الثاني: مكانة الإعجاز التشريعي.

المطلب الثالث: منهج القرآن في التشريع، وفيه:

أولاً: تربية الفرد.

ثانيًا: بناء الأسرة.

ثالثاً: بناء المجتمع.

المطلب الرابع: دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم.

المطلب الخامس: خصائص التشريع ومزاياه.

المطلب السادس: نماذج وصور للإعجاز التشريعي للقرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف الإعجاز التشريعي: هو التشريع الذي جاء به القرآن الكريم الشامل الكامل المحكم المتقن.

مخرجات التعريف:

"**شامل**" لكافة أوجه التشريع سواء ما يتعلق منها بالفرد أو في المجتمع، وسواء أكان في العقيدة أو العبادة أو المبادئ والأخلاق، أو الاجتماع، أو الاقتصاد أو السياسة في السلم أو الحرب، في السفر أو الحضر، في الليل أو النهار.

"**كامل**" لاستيفائه لدقيق المسائل وجليلها، وصغيرها وكبيرها.

"**محكم متقن**" لا نقص فيه ولا عيب، ولا قصور ولا خلل[1].

وقيل المراد بالإعجاز التشريعي: هو المعجزة التشريعية، من حيث الشمول، والمرونة، وتحقيق العدالة، وذلك بالاستناد إلى مصدره الإلهي الذي صانه من قصور الفكر البشري عن الإحاطة بواقع الحال، وإدراك متغيرات المستقبل[2].

وتعريف ثالث بأنه: إثباتُ عَجْز البشر جميعًا عن الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من تشريعاتٍ وأحكام، تَتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع في كافَّة المجالات.

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٣٠٠).

(٢) ينظر: محاضرات في علوم القرآن لغانم بن قدوري (ص ٢٤٩).

المطلب الثاني: مكانة الإعجاز التشريعي:

- يُعد من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام التي لا يكون صلاح الفرد والمجتمع ولا تتحقق السعادة البشرية إلا بها، وفي حال تركها والتخلي عنها يكون الشقاء والضنك والفساد والهلاك، قال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].
- أن القرآن منهج للحياة البشرية بكل مقوماتها، يشمل التصورات العقائدية التي تفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود والغاية من وجوده، ويشمل النظم التي تنبثق من العقيدة التي يدعو إليها القرآن الكريم وتستند إليه، وأساسها الإيمان بالله عز وجل، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر.
- أن القرآن الكريم يشمل سائر النظم التي تتمثل في حياة البشر كالنظام الاجتماعي، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي والنظام الدولي، والنظام الأخلاقي، وكل الأسس التي تقوم عليها هذه الأنظمة المذكورة، أو تستند إليها، أو تحدد شكلها وطبيعتها أو خصائصها، إنما تنبثق من هذا المنهج الشامل، باعتباره منهج حياة يشتمل على تلك المقومات كلها مترابطة، غير منفصل بعضها عن بعض [1].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٣٠٠).

- أن القرآن الكريم يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطاباً مباشراً، إذ إنه ليس نظاماً تاريخياً لفترة من فترات التاريخ، وليس نظاماً محلياً لمجموعة من البشر في جيل من الأجيال، ولا في بيئة من البيئات.
- أن القرآن أحكم تشريع، وأكمل نظام، عجز البشر ولا زالوا عاجزين عن الإتيان بمثل تشريعه، أو الإتيان بمثل سياسته أو نظامه فحين ننظر في التشريعات البشرية والقوانين الوضعية نرى البون الشاسع بين هذا وذاك مما يكشف لنا وجه الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.
- أن هذا التشريع بشموله وكماله وإحكامه أكبر من أن تحيط به العقول البشرية في جيل واحد أو في مجموعة من الأجيال فضلًا عن أن يحيط به عقل بشري واحد في جيل واحد.
- أن القرآن نزل في مجتمع جاهلي سادت فيه الجاهلية العقيدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وليس من السهل في مثل هذا المجتمع نقد أمر من أمورها فضلًا عن تغييره أو قلب الأمور كلها، فسلك القرآن مسلكًا عجيبًا.
- نظم القرآن حياة الفرد والأمة بأحكام لا مزيد على إبرامها، برباط الحرية دون فوضى، والامتثال مع الاختيار، فالأحوال الشخصية قد نظمت بأحكامها الجديدة في الزواج والطلاق والعدة والنفقة والمواريث والوصايا والحدود والديات والجروح والقصاص والديون والعقود بما لم تسبق إليه أعرق الأمم تشريعاً، وأعمقها تفقهاً، بل كانت مفردات حياة جديدة متأطرة بإطار التطوير الإنساني، ثم تكفل القرآن ببيان فروض وواجبات

منظمة ضمن الحياة اليومية كالصلاة بفرائضها ونوافلها، وفي جملة من الشهور كالصوم والحج، وفي خلال السنة كالزكاة.

- أن القرآن مُعجِز بما فيه من أحكام تشريعية خالدة، لم تحتج على تطاول الدهور إلى تعديل في أُصولها العامة، وأنها تستهدف خير الإنسانية، والحفاظ على الحقوق والواجبات، والقاعدة التي يبنى عليها الحكم قائمة على أساس المصلحة فالنافع مباح، والضار ممنوع.

المطلب الثالث: منهج القرآن في التشريع:

يقوم منهج القرآن في التشريع على أسس منها:

أولًا- تربية الفرد: بدأ القرآن بتربية الفرد؛ لأنه لبنة المجتمع ويقيم تربيته على تحرير وجدانه، وتحمله التبعة، ومن أسس هذه التربية:

١) **غرس عقيدة التوحيد:** الذي تُخَلِّصه من سلطان الخرافة والوهم، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبدًا خالصًا لله، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها.

٢) **التربية بالعبادة:** انتقل القرآن بالفرد من صحة العقيدة إلى صحة العبادة فشرع العبادات التي تهذب سلوك الفرد، وتربطه بربه في كل شأن من شئونه ومنها:

أ) **الصلاة:** وهي صلة بين العبد وربه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي لقاء يومي بين المسلم وإخوانه خمس مرات في اليوم، ولقاء أسبوعي مع آخرين منهم في يوم الجمعة ولقاء سنوي كالعيدين وهي مدعاة للترابط والشعور بالمسئولية المشتركة في بعضها كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء.

ب) **الزكاة:** وهي تطهير للنفس من الشح والبخل أولًا، وكبح للنفس في لهائها خلف المادة: وتعليم وأي تعليم أن المال وسيلة وليس بغاية، وتربية للمسلم على الإحساس بمعاناة إخوانه المسلمين، وإعانتهم على قضاء حوائجهم.

ج) **الصيام**: وهو ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبس للشهوات، وترويض لها على الصبر على الطاعات، والاعتدال في الملذات، حتى يسهل انقيادها لصاحبها، وهو كذلك مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهرًا كاملًا على نظام واحد في طعامهم.

د) **الحج**: وهو سياحة تروِّض النفس على المشقة، وعبادة مالية، بدنية، وفي الأولى بذل للمال لركوبه، وزاده، وسكنه، وهديه، وغير ذلك، وفي الثانية تربية للنفس على تحمل المشاق وترك ما اعتادت في إقامتها من دعة أو سكون، وتعويد لها على الصبر على حرارة الصيف أو برد الشتاء، وعلى الحلول والارتحال، ولا تخفى آثار ذلك وفوائده.

وهو فوق هذا لقاء سنوي بين جمع المسلمين من شتى أقطار الأرض يتفقد فيه بعضهم أحوال بعض ويعرف بعضهم بعضًا فيشعر بالأخوة الإسلامية بأبعادها ويعاني بعض معاناتهم.

٣) **التربية بتهذيب السلوك**: وبعد تنقية القلب من أدران الشرك وغرس العقيدة الصحيحة وتوثيق الصلة بين العبد وربه رسم بحكمة العلاقة بين العباد وجعلها تقوم على المحبة والمودة ونهى عن كل ما يؤدي إلى ضعفها أو وهنها، ونرى معالم هذه التربية في صور منها:

أ) **بتزكية النفس**: وذلك يكون بإلزامها بالآداب الحميدة والأخلاق الفاضلة كالأمر بالصبر والصدق،، والعدل والإحسان، والأمر بغض البصر وحفظ الفرج: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ب) **توثيق أواصر الصلة بين العباد**:

وصى بالوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[الأحقاف:١٥].

وأمر بالتآخي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وبالتعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

وأمر بأداء الأمانة والعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[النساء:٥٨].

ت) **نهى عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف**:

فنهى عن السخرية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ... ﴾ الآية[الحجرات:١١].

ونهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١١].

ونهى عن شهادة الزور وقول الزور: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢].

وبهذا يكتمل بناء الفرد ويصبح لبنة صالحة لبناء أسرة صالحة، قائمة على أسس ثابتة، وقواعد راسخة.

ثانيًا: بناء الأسرة:

ومن بناء الفرد وتهذيبه، وإصلاحه وتقويمه إلى بناء الأسرة الواحدة المترابطة المتماسكة وشرع لها نظامها وأسسها فمن ذلك:

١) **الزواج**: وهو الطريق الصحيح إلى بناء الأسرة، والأرض الصلبة، وجعل غريزة الجنس من أقوى الدوافع لسلوكه فهذبها بالزواج وحفظها بالآداب. وبين ما للزوج على زوجته من حقوق وما للزوجة على زوجها من حقوق: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقام رباط الأسرة في الزواج على الود والرحمة والسكن النفسي والعِشْرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

٢) **تربية الأولاد**: ومن أسس بناء الأسرة حسن تربية الأولاد فهم أمانة في أعناق الآباء، لهم حقوقهم في حسن التربية والرعاية والنفقة، حتى وهو في بطن أمه المطلقة.

٣) **بر الوالدين**: وكما أمر الآباء بأداء حق الأولاد أمر الأبناء أيضًا ببر الوالدين وأوصى بذلك: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[الأحقاف: ١٥] ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فإذا أدى الزوج حق زوجته وأدت الزوجة حق زوجها وأدى الابن حقوق والديه وأدى الآباء حقوق الأبناء أصبحت الأسرة متماسكة مترابطة تصلح وأي صلاح لبناء مجتمع قوي.

ثالثاً: بناء المجتمع:

وإذا كان بناء الأسر يقوم على بناء الأفراد وهم لبناته فإن بناء المجتمعات يقوم على هذه الأسر، وقد رسم القرآن نظام هذا المجتمع ووضع له أسسه ونظامه فشرع لذلك:

١) **الحكومة الإسلامية**: إذ لا يستقيم لمجتمع أن يظل على ترابطه ما لم يكن له حكومة تسوسه وترعاه، وتتفقده وتحميه وتنظم شئونه، وترتب أموره، وجعل لهذه الحكومة نظامها وقواعدها فمن ذلك:

أ- **الشورى**: والمساواة ومنع السيطرة الفردية: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨]، ولأهمية الشورى سميت سورة كاملة باسمها.

ب- الحكم بما أنزل الله:

ويجب على هذه الحكومة أن تحكم بما أنزل الله:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فالتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكًا للناس، فقد قرره القرآن، والخروج عنه كفر وظلم وفسق.

ج- **العدل:** وهي حكومة تقوم على العدل المطلق الذي لا يتأثر بحب الذات، أو عاطفة القرابة، أو العوامل الاجتماعية في الغِنَى والفقر. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ..﴾[النساء: ١٣٥].

د- المحافظة على الكليات الخمس:

وعلى الحكومة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس وهي "النفس، الدين، العرض، المال، العقل" **ففي النفس القصاص:** ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وفي العرض: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

وفي المال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

وحرم ما يزيل العقل: ولو إلى حين كشرب الخمر.

وفي الدين: حرم الردة عن دين الله والعياذ بالله وأوجب الله في هذا وذاك العقوبات الصارمة.

هـ- تنظيم العلاقات الدولية:

وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم وما يتعلق بذلك من تشريع الجهاد وتنظيمه، والغنائم وأحكامها والمعاهدات وغيرها.

٢) **ومما شرعه القرآن لبناء المجتمع السمع والطاعة لولي الأمر:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] وعندما يتدبر المسلم هذه الآية ويكرر تلاوتها سيجد الإلحاح والحث على الطاعة لما في العصيان والتمرد من أثر سيئ ليس على الفرد بل على بناء المجتمع كله.

٣) **تحريم الخروج على جماعة المسلمين:**﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ﴾ الآية[آل عمران:١٠٥].

وبهذا كله يتم بناء المجتمع وترابطه، واتحاده وقوته ويصبح للمسلمين قوة ولهم شأن عظيم.

وبهذا المنهج التشريعي الحكيم جاء القرآن الكريم فدرسه العلماء وتدبروه، وتفكروا فيه وخرجوا بنتيجة واحدة هي أن في تشريعه إعجازًا لا يمكن للبشر أن يخترعوه.

وسيظل الإعجاز التشريعي قرينًا للإعجاز العلمي والإعجاز اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالَم أثرًا غيَّر وجه التاريخ[1].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٣٠١-٣١١)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٨٤-

المطلب الرابع: دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم:

إن المتعمق في دراسة التشريعات الإسلامية في مختلف مناحي الحياة يدرك إدراكا واضحا وجليا أن هذه التشريعات تهدف إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته وتطلق طاقاته الإيجابية نحو الكمالات البشرية، وتحفظ له نظرته المستقيمة، وتوفر له التوازن الدقيق في متطلباته الجسدية المادية وأشواقه الروحية، مع انسجام تام مع المحاكمات العقلية، مما يثمر الطمأنينة النفسية والسعادة في حياته الدنيا، وهي السبيل إلى الحياة الباقية في الدار الآخرة.

إن تاريخ البشرية لم يحدثنا عن مصلح اجتماعي أو فيلسوف عبقري أنه وضع نظام حياة لشعب من الشعوب بمختلف فئاته وتنوع مجالاتها بل حاول كثير من المصلحين أن يضعوا قوانين تنظيمية لدولة من الدول. ولكن محاولاتهم كثر الانتقاد عليها في حياتهم وبعد مماتهم لأنها كانت متأثرة ببيئة واضعها، وقاصرة عن استيعاب المشاكل لمجتمعهم، وأوجدت الجور والحيف على بعض الفئات لمصلحة آخرين.

وما قانون حمورابي وصولون..وغيرهم، وما أخذ عليها وما نتج من تطبيقاتها قديما إلا مظهر من المظاهر التي ابتلي بها الإنسان في مراحل شقائه. ولا زالت هذه الظواهر تتكرر في المجتمعات التي لا تدين دين الحق، فالمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والوثنية تكتوي بمثل هذه التجارب المريرة إلى يومنا هذا.

---

(٣٨٩).

إن التشريعات الإسلامية التي جمعت بين الروح والمادة فأشبعت كلا منهما في الإنسان بما يناسبها، ووفرت السعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل مع مراعاة الفطرة وتلاؤمها معها، لدليل على أن أحدا من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي برهان ساطع على أنها منزلة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات والاستعدادات فأنزل ما ينظمها جميعا ويوجهها لعبادة الخالق سبحانه وتعالى. وتكون الدلالة أوضح والبرهان أظهر عند ما تعلم أن الذي نزلت عليه كان أميا لم يتلق العلم على يد أحد من البشر، ولم يعرف بتجواله في الآفاق بحثا عن النظريات والدساتير الإصلاحية.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه القيم «المعجزة الكبرى»: (... إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية، وإذا وازنا ما جاء في القرآن بما جاءت به قوانين اليونان والرومان، وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور، مع أن قانون الرومان أنشأته الدولة الرومانية في تجارب ثلاثمائة سنة وألف، من وقت إنشاء مدينة روما إلى ما بعد خمسمائة من الميلاد، ومع أنه قانون تعهده علماء قيل إنهم ممتازون منهم: سولون الذي وضع قانون أثينا، ومنهم ليكورغ الذي وضع نظام أسبرطة.

فجاء محمد ﷺ ومعه القرآن الذي ينطق بالحق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني، لم يسبقه سابق، ولم يلحق به لا حق [1].

إن الإعجاز التشريعي لآية بينة على أن القرآن الذي اشتمل عليه هو كلام الله أنزله على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الانحراف والضلال والشقاء إلى نور الإيمان والهداية والتمسك بحبل الله المتين:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: ٩] [2].

(١) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة (ص ٣٠٧).

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٥٧-٢٥٨).

❖ المطلب الخامس: خصائص التشريع ومزاياه:

مما يجلي حقيقة الإعجاز التشريعي، هو تلكم الخصائص التي يتميز بها التشريع الرباني، وتلك المقاصد التي يهدف إلى تحقيقها، ومن ثم فلا بد من الوقوف على هذه الخصائص والمزايا بصورة موجزة:

- **إلهية المصدر**: فهو من عند الله تعالى رب العالمين بما يصلح للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٤]؛ لذلك فتشريعات القرآن لا تناقض فيها ولا إطّراب، ولا يشبوها النقض، أو الجهل، أو الهوى، أو التحيز لفئة، أو جماعة [١].
- **الصدق والعدالة**: فهو خير تشريع وأصدق حديث وأعدل حكم: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال ابن القيم: "الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة، ومصالح، وحكمة "[٢].
- **الشمولية**: تناول التشريع جميع جوانب الحياة العقيدية والتعبدية، والإقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

(١) ينظر: البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي (ص٣٢٣- ٣٢٥).

(٢) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/٣).

لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل: ٨٩]، وتتناول آيات القرآن الكريمة في مجموع أحكامها كل ما تحتاج إليه البشرية من تشريعات خاصة، وتشريعات عامة تحقق الاستقرار والطمأنينة للبشر، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولقد شملت نصوص القرآن مقاصد شاملة في العقائد، وفي مجال العبادات والمعاملات والأخلاق، والمجال الاجتماعي، والمجال السياسي والحكم وتنظيم علاقات الدولة في حالات السلم والحرب، وفي المجال الاقتصادي، ومجال حقوق الإنسان [١].

- **السعة والمرونة:** التي تسع الجميع من الفُقهاء والمجتهدين، وتمتاز كذلك بمرونة المصادر لتناسب الحاجات المستجدة لكل عصر وزمان[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً كمقادير التقديرات وصفاتها، فإن الشارع يتنوع فيها بحسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في الإسلام لمحمد عبد الرحمن المرعشلي (ص ٢٠)، البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي (ص٣٢٣- ٣٢٥)، دراسات في علوم القرآن الكريم أ. د. فهد الرومي (ص ٣١٢).

(٢) ينظر: الإعجاز التشريعي في الإسلام لمحمد عبد الرحمن المرعشلي (ص ٢٠)، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة لأحمد عمر أبو شوفة (ص ٥٨).

المرة الرابعة وعزر بالعقوبات المالية في عدة مواضع"[1].

- **العموم والعالمية**: فقد جاءت لعموم البشر في كل زمان ومكان ولم تأت لطائفة معينة، ولا لجنس معين، ولا لأمة معينة، ولا لفترة زمنية محددة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].
- **الاعتدال واليسر**: إنها شريعة سمحه لا تكلف الناس فوق طاقتهم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقد شرعت للناس رخصاً عند الضرورة رفعاً للضرر والمشقة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة ٢٨٦] [2]. ومن القواعد الفقهية: (الضرورات تبيح المحظورات)، و(المشقة تجلب التيسير)، و(إذا ضاق الأمر اتسع) [3].
- **التساوي**: للناس كافة أمام التشريع القرآني في جميع الحقوق والواجبات الإنسانية، مما يغلق الشّر، والفساد العريض، والظلم والعبث، واتباع الهوى، فلا يعبّر عن مصالح فئةٍ معينة دون غيرها، ليتهاوى عند سقوطها كما يحصل في إصدار بعض القوانين لمصالح فئة

(١) ينظر: الحدود والتعزيرات عند ابن القيم بكر أبو زيد (ص ٤٨٢).

(٢) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٨/٢).

(٣) ينظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل عبد القادر بن بدران الدمشقي (١/ ٢٩٨).

معينة، إن هذا يعين على ترشيد الخلق إلى الوحدة، والائتلاف ومحو العصبيات وإزالة الفوارق والتنازع على الصعيد الاجتماعي [١].

- **الوسطية والتوازن**: أما وسطية الشريعة فتكمن في توازنها بين متطلبات الروح والمادة، وشؤون الدنيا والآخرة، وبين حقوق الفرد والجماعة، وحقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وبين الواقعية والمثالية، والثبات والمرونة، حيث استطاع الإسلام أن يقيم نظاماً يعطي كل ذي حق حقه، ويقيم العدالة والقسطاس المستقيم بلا وكسٍ، ولا شططٍ، ولا غلو، ولا تقصير، ولا إفراط، ولا تفريط [٢].

- **موافقة التشريعات للفِطرة والعقول المستقيمة:**

وصف الله تعالى دينه بأنه دين الفطرة بقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

- **دقة الأسلوب**: في نصوص التشريع المعجز حيث يكمن في الصياغات القرآنية الرائعة، وجوامع الكلم النبويّ التي أتت بمجموعة من المبادئ التشريعية في قوالب مُوجَزة

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في الإسلام ل محمد عبد الرحمن المرعشلي (ص ٢٠).

(٢) ينظر: الخصائص العامة للإسلام للقرضاوي (ص١١٤).

رائعة، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة:١٧٩]، حيث دلَّ هذا النص الموجز على مشروعِية القِصاص [١].

- **مسايرة مصالح الناس**: وذلك أنه شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات المواريث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان [٢].

قال العز بن عبد السلام: «إن الشريعة كلها مصالح: إما درأ مفاسد أو جلب مصالح»[٣].

- **التدرج في الأحكام**: لأنها عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئاً فشيئاً من غير تشديد ولا تعقيد في النهي عنها وتحريمها، فمثلاً في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجة في تحريمها بأسلوب حكيم لم يشعر الناس معه بغضاضة أو حرج أو مشقة[٤].

- **نصوص القرآن وأحكامه محفوظة من التحريف والتبديل**: وهذا دليل على صلاحيتها ومناسبتها لأحوال الناس جميعاً ما دامت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿إنا

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن والسُّنَّة للقره داغي (ص ١٨).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥٥١/١).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للعز بن عبد السلام (٩/١).

(٤) ينظر: الإعجاز التشريعي في الإسلام ل محمد عبد الرحمن المرعشلي (ص ٢٠).

نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢] وغيرها.

هذه بعض المزايا والخصائص للتشريع الإسلامي مما جعلته رائداً على كل التشريعات، والأنظمة، والقوانين الوضعية التي هي من صنع البشر، والدالة على أنه من لدن حكيم خبير.

المطلب السادس: نماذج وصور للإعجاز التشريعي للقرآن الكريم:

❖ النموذج الأول: عنايته بالمرأة وشؤون الأسرة، والحكمة من الزواج:

لقد كرّم الإسلام المرأة بعد أن كانت في الجاهلية تورث كما يورث أي متاع، وتحرم من الميراث، وتوأد في التراب وهي طفلة، وقد فرض الله للمرأة على المجتمع حقوقها وكرامتها وتأمين أسباب سعادتها، وعد ذلك دينا يثاب ويحاسب عليه المرء.

وأمرها بالاحتجاب رحمة بها وصيانة لحرمتها لكيلا تهان تحت أقدام الذل والمهانة، ولكيلا تكون متعة تافهة لا قيمة لها؛ فتأمل كيف كانت صيانة المرأة حسب توجيهات القرآن، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ [الروم:٢١] وقال تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء:٤]. وقال تعالى: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة:٢٢٩]، وغيرها من الآيات.

وجعل من مقاصد الزواج طلب الذرية الصالحة التي تطيع أمر الله تعالى وتعبده سبحانه قال تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان:٧٤].

ومن شأن احتجابها المحافظة على عفتها قال تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى...﴾[الأحزاب:٣٣].

وفي سورة النور ورد كثير من الآيات بشأن العفة والاحتجاب وغض البصر وحفظ الفرج، بل إن سبب نزول الآيات الأولى منها حادثة الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

وكثير من الآيات الواردة في السورة هي من قبيل سد ذرائع الزنا والتحذير من قذف المحصنات المؤمنات.

فالأمر بعدم دخول البيوت إلا باستئذان هو من هذا القبيل، وكذلك تشريع حد القذف، وبيان حد الزنا، والحث على النكاح، وذكر العورات الثلاث مرات: ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾ [النور:٥٨].

كل هذه التشريعات هي من قبيل سد ذرائع الزنا، فتأمل السورة وتفسيرها.

أما حال المرأة في ظل الشرائع الوضعية في الغرب ومن سلك مسلكهم وقلدهم، فلم تعد إلا سلعة رخيصة لا قيمة لها على الحقيقة، لقد أخرجت المرأة من بيتها ومزقت حجابها، علماً بأن الحياة العائلية لا تدوم بغير المحبة والاحترام بين الزوجين، والتبرج والسفور يزيل عن المرأة هيبتها وعفتها. وكم سمعنا وقرأنا عن معاناة المرأة وشقائها في المجتمعات الغربية التي خرجت عن منهج الله، وكم من أمراض فتاكة انتشرت في تلك المجتمعات[1].

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د. حكمت الحريري (٦/٤-٥).

❖ النموذج الثاني: التشريع القرآني في الميراث:

إن التقسيم المحكم العادل الذي جاء به الإسلام لم يسبق له مثيل فيما عرف من قوانيين العالم، ويمكن إيجاز هذ المزايا في النقاط التالية:

- تولى الله سبحانه وتعالى توزيع الميراث على مستحقيه بنفسه ولم يترك ذلك لغيره فجميع أحكامه منصوصة[1]، فكانت بذلك من النظام والدقة والعدالة في التوزيع ما يستحيل على البشر أن يهتدوا اليه لولا أن هداهم الله.
- يمتاز نظام الميراث في الإسلام بأنه متناسق مع الفطرة وواقع الحياة.
- ويمتاز نظام الميراث في الإسلام بأن توزيع التركة معلَّق بإرادة الشارع لا بإرادة الوارث أو المورث، ومن ثم فالميراث هو الملك الوحيد الذي ينتقل من شخص إلى أخر دون اشتراط رضاهما، ولم يترك الإسلام للمالك إلا حرية التصرف في حدود الثلث حيث أباح له التصرف فيه بالوصية[2]، بخلاف النظم الوضعية التي أباحت له التصرف في الوصية بالمال كله.
- بنى الإسلام توزيع الميراث على أساس القرابة، فأعطى الأقرب فالأقرب، واعتبر أن قرابة الرجل من الروابط الوثيقة بينه وبين أسرته، ولها حق طبيعي من الشعور الخالص

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/١٩٦).

(٢) ينظر: الإعجاز التشريعي لنظام الميراث في القرآن ل: أ .د أحمد يوسف سليمان (ص ٢١).

والصلة الموفورة، والمرء يقوى بقرابته، ويأنس بها في حياته، فجعل من حقها التوارث المتبادل [١].

- جعل الإسلام الإرث محصوراً في المال ولم يتعداه إلى الزوجة كما كان في الجاهلية، وجعل ما بين الزوجين من مودة ورحمة حال الحياة سبباً للتوارث عند الوفاة، فلم يهملها كما فعلت بعض الشرائع.
- كرَّم النظام الإسلامي في هذا الصدد المرأة، واحترم الأمومة، فأعطى المرأة نصيبًا من الميراث بينما حرمتها كثير من التشريعات، وأعطى من يتصلون إلى المورث بسببها كما في أولاد الأم، والجدة للأم، وهذا بلا شك تكريم للأمومة وإعزازًا لها [٢].
- أنه نظام محكم صاغه القرآن الكريم في ثلاث آيات فقط الآيات رقم (١١، ١٢، ١٧٦) من سورة النساء، بنفس اللغة الدقيقة الجميلة التي تخاطب العقل والوجدان [٣].
- أحكام الميراث كما وردت في القرآن الكريم من الثوابت التي لا تقبل التغيير، ومهمة المجتهد تنحصر في تنزيلها على الواقع لتوجهه وتحكم عليه، وهي قابلة للتطبيق في كل البيئات إلى أن تقوم الساعة[٤].

هذه بعض المزايا، والحِكم، والفوائد عظيمة، للتشريعي القرآني في الميراث، مما جعلته رائداً

---

(١) ينظر: شرح قانون الأحوال الشخصية لمصطفى السباعي (٣ / ٢٠) .

(٢) ينظر:في طلال القرآن لسيد قطب (١/ ٩٦)، والوسيط في أحكام التركات والمواريث ل زكريا البري (ص ٣٠٠).

(٣) ينظر: الإعجاز التشريعي لنظام الميراث في القرآن: أ .د أحمد يوسف سليمان (ص ٢١).

(٤) ينظر: الإعجاز التشريعي لنظام الميراث في القرآن: أ .د أحمد يوسف سليمان (ص ٢١).

في هذا المجال، ولم يسبقه أي تشريع أو قانون في هذه الدقة والتقدير الذي يبهر العقول المستنيرة، ويجعل النفوس تتقبل هذه القسمة الإسلامية في الميراث براحة نفس وطيب خاطر.

❖ **النموذج الثالث: الاعجاز التشريعي في الاقتصاد:**

مسألة الاقتصاد التي هلك بشأنها كثير من الناس ونشبت بسببها حروب كثيرة على مدى التاريخ البشري فقد أوضح القرآن أصولها التي ترجع إليها جميع الفروع الاقتصادية ومرجعها إلى أصلين هما:

- حسن النظر في اكتساب المال.
- حسن النظر في التصرف به.

فمن حيث الأصل الأول وهو حسن النظر في اكتساب المال ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الطرق المشروعة في اكتسابه بالأسباب المناسبة والموافقة للدين والمروءة، فقال تعالى: ((ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)) [البقرة:١٩٨]. وقال تعالى: ((وأحل الله البيع)) [البقرة:٢٧٥] وقال: ((المال والبنون زينة الحياة الدنيا)) [الكهف:٤٦]

ومن حيث الأصل الثاني وهو حسن النظر في التصرف بالمال فقد أمر سبحانه وتعالى بالاعتدال والاقتصاد في صرف المال فقال تعالى:{والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما}[الفرقان:٦٧].وقال تعالى: {ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو}[البقرة:٢١٩].

ونهى عن كنز المال ومنعه عن الفقراء وعن الشح، وحث على الزكاة فقال تعالى: { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب}[التوبة:٣٤].

وقال تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم}[التوبة:١٠٣].

إن جميع الأنظمة والشرائع الوضعية عجزت وما تزال عن تقديم نظام اقتصادي متكامل، خال من الغش والخديعة والاحتيال كالنظام الاقتصادي الذي قررته شريعة القرآن الكريم.

في الأنظمة الوضعية يحاول أصحاب الأموال والثروات التخلص من دفع الضرائب أو التقليل منها، لأنها في نظرهم ليست إلا نقصاً من حقوقهم، وإذا دفعوها لا يكون عندهم أي شعور بالرضا والقبول.

بينما نجد أن المتصدق في المجتمع الإسلامي الذي يحكم بشريعة القرآن حينما يدفع جزءاً من ماله كزكاة أو صدقات، يقدمها على أنها قربة لله، ويحسب أن الله سيبارك له في ماله، فهو يدفعها بالرضى والسرور.

فالمجتمع لا يمكن أن يعيش بسلام ووئام إلا إذا كانت العلاقة قائمة على التوازن بين الأغنياء والفقراء، بين العوام والخواص، وأساس هذا التوازن عن طريق رحمة الخواص الأغنياء وشفقتهم على العوام الفقراء، واحترام العوام للخواص. في المجتمع الإسلامي الذي طبق شرائع القرآن والتزم بأحكامه تحقق هذا السلام والوئام، ووجدت الرحمة بالفقراء، وحصل للخواص الاحترام[1].

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د. حكمت الحريري (٦/١-٢).

المبحث الثالث:

الإعجاز الغيبي (الإخباري)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإعجاز الغيبي ومكانته.

المطلب الثاني: أنواع الأخبار الغيبية الواردة في القرآن، وفيه أربعة أنواع:

النوع الأول: الإخبار عن الغيب المطلق.

النوع الثاني: الأخبار الغيبية الماضية.

النوع الثالث: إعجاز الحاضر.

النوع الرابع: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة "غيب المستقبل".

المطلب الثالث: وجه دلالة الغيب على مصدر القرآن.

الإعجاز الغيبي (الإخباري)(التاريخي)[1].

❖ مفهوم الإعجاز الغيبي:

هو كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله سبحانه وتعالى له بما يكيده اليهود والمنافقون، ويشمل أيضا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان[2].

(١) ويسمى كذلك: الإخباري، التاريخي.

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٣٠٠).

❖ المطلب الأول: أهمية الإعجاز الغيبي ومكانته:

١) أنه دليل قوي وواضح لكل عاقل في أن هذا القرآن لم يكن من عند محمد ﷺ ، ولا يمكن أن يكون من أي بشر، وإنما هو من عند الله سبحانه.

٢) الإعجاز الغيبي يثبت صدق ظاهرة النبوة والرسالة وحقيقة بعث الأنبياء من عند الله إلى الناس، قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾[الشورى :٥١-٥٢]

٣) تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ، والاطمئنان بأن الصبر والعاقبة للمتقين، قال تعالى:﴿ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾[هود: ١٢٠].

٤) تربية الأمة وتهذيبها من خلال العظات والعبر التي ترد في قصص السابقين كالإخلاص والتوكل في قصة إبراهيم عليه السلام، والبر والوفاء والطاعة في قصة إسماعيل عليه السلام والصبر والتحمل في قصة أيوب عليه السلام.

٥) تنمية المشاعر النبيلة والاستمتاع الوجداني والتسلية والترويح من خلال هذا الزاد الثقافي العظيم، كما في قوله تعالى بعد قصة يوسف عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾[يوسف: ١١١](١).

الأخبار الغيبية الواردة في القرآن أربعة أنواع:

النوع الأول: الغيب المطلق.

النوع الثاني: غيب الماضي.

النوع الثالث غيب الحاضر (عصر النبوة).

النوع الرابع: غيب المستقبل.

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٦١)، الإعجاز في القرآن الكريم د. عبدالغني حيدر فارع (ص١٢٢-١٢٣).

المطلب الثاني: أنواع الأخبار الغيبية الواردة في القرآن:

النوع الأول: الإخبار عن الغيب المطلق: كالخبر عن الله عزّ وجلّ وأسمائه وصفاته، والملائكة، وصفة الجنّة وصفة النّار.

وقد أتى القرآن في هذا الأمر بما لا يدركه بشر من تلقاء نفسه، إذ طريقه لا يكون من جهة العقول، إنّما طريقه السّمع الّذي لا ﴿ يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت: ٤٢].

النوع الثاني: الأخبار الغيبية الماضية:

ويقصد بالإعجاز الغيبي الماضي: وهو الإخبار عن أحوال القرون السابقة والأمم البائدة مما اختفى علمه.

وقد تضمن هذا النوع الأخبار التي تحدثت عن الأمم الماضية والأنبياء السابقين عليهم السلام؛ وذلك لعدم تلقي الرسول ﷺ لهذه الأخبار عن أحد من البشر ولم يقرأها في كتاب، فلم يبق إلا أن يكون تلقاها عن طريق الوحي، ولهذا كان القرآن كثيرًا ما يشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: ٤٨] [1].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٧٥).

نماذج وصور من إعجاز الماضي[1]:

أولاً: قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام مع أقوامهم: كقصة آدم، ونوح، ويوسف، وموسى وعيسى وغيرهم، وهي تمثل المائدة الرئيسية لهذا النوع من الإعجاز، وسنذكر طرفاً منها:

١) **قصّ الله سبحانه قصّة نوح،** ثمّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾ [هود: ٤٩].

٢) **وفصّل قصّة يوسف،** ثمّ قال: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ [يوسف: ١٠٢].

٣) **وقصّ طرفا من نبأ موسى،** ثمّ قال: ﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَلكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ..﴾ [القصص: ٤٤ - ٤٦].

ثانياً: قصص أقوام صالحين:

١) **قصة أصحاب الكهف:** والتي جاءت سورة كاملة تحمل اسمهم، ومتصدرة بالحديث عنهم في أكثر من (١٧آية)، قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٧٥)، الإعجاز في القرآن الكريم د. عبدالغني حيدر فارع (ص ١٢٩-١٣١).

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾[الكهف:٩-١٠].

٢) **قصة ذي القرنين**: قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[الكهف: ٨٣].

٣) **قصة مريم – عليها السلام –**: قال بعد ذكر قصّة مريم: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ثالثاً: أخبار قوم كافرين: كقصة قارون، وفرعون، وهامان وغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾[العنكبوت: ٣٩-٤٠].

إن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم لدليل على أنه وحي من الله سبحانه وتعالى، ولم يكن لبشر أن يدركه بالاطلاع والتتبع والاستقراء مهما أوتي من علم وحكمة ودراسة لسير الأولين فما بالك إذا كان الذي جاء به أميا ونشأ في بيئة أمية.

النوع الثالث: إعجاز الحاضر:

ويقصد بالإعجاز الغيبي الحاضر: ما جرى في عصر رسول الله ﷺ من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمنا لها ومخبرا بحقيقة ما جرى.

وفي تنبيه القرآن الكريم الرسول ﷺ ومعه المؤمنون على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع ضمان لسلامة سير الدعوة وتجنب لها عن الوقوع فيما يخطط لها أعداؤها من الكفار والمنافقين.

الغاية الأساسية من غيب الحاضر هو:

١) تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بينة من أمرها، وتربية الأمة وتهذيبها.

٢) صدق رسول الله ﷺ فيما يبلغ عن ربه، حيث لم يكن له علم بما دار في غيابه، وما خطط وما جرى تنفيذه، حتى أماط القرآن الكريم اللثام عن هذه الأمور.

ونذكر أمثلة على هذا النوع من الغيب، ليظهر لنا من خلالها الهدف الأساسي الذي رمى إليه هذا التوجيه الرباني، والأهداف اللاحقة أو التبعية التي تستفاد من سوق الخبر أو الحادثة.

وأغلب هذه الحوادث تتعلق بكشف خطط أعداء الله وكيدهم للقضاء على جماعة المسلمين، وإطفاء نور الله سبحانه وتعالى، فمن ذلك:

أولا: ما جاء في شأن اليهود:

١) تآمرهم على النبي ﷺ عندما ذهب إلى بني النضير ليستعين بهم على دفع دية رجلين معاهدين، فهمُّوا بإلقاء حجر عليه وقتله، فاخبره الوحي بذلك فانصرف عنهم مسرعاً إلى المدينة ثم أمر بحصارهم[١]، فكان هذا من غيب الحاضر.

٢) قولهم للنبي ﷺ: السام عليك، موهمين إياه بأنهم يلقون عليه السلام، فنزلت الآية مخبرة رسول الله بحقيقة تحيتهم:﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)﴾[المجادلة :٨]

٣) الشاة المسمومة: ((أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم، فقال: "ارفعوا أيديكم؛ فإنها أخبرتني أنها مسمومة" فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: "ما حملك على الذي صنعت؟ " قالت: إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت، ولأن كنت ملكا أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ، فقتلت)) [٢].

---

(١) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص ١٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٦٧/١٦) ، وقال الأرناؤوط صحيح لغيره، وأصله عند البخاري رقم (٢٦١٧)، (١٦٣/٣)، ومسلم رقم (٢١٩٠) (١٧٢١/٤).

ثانيا: ما ورد في شأن المنافقين:

١) **مسجد الضرار**: ما أراده المنافقون وخططوا له ودبروه من كيد للإسلام ورسوله ﷺ والمسلمين، أطلع الله تعالى رسوله ﷺ، وإن كان في ظاهر أمرهم بناء مسجد رمز الجماعة المسلمة ووحدتها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾[التوبة: ١٠٧-١١٠]

٢) **استهزاءهم بالمسلمين وحلفهم بالكذب**:﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ..﴾ [التوبة :٧٢].

٣) **حذرهم من تنزل سورة تفضحهم**، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات[١].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٧٥)،مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٦١).

النوع الرابع: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة "غيب المستقبل":

ويقصد بغيب المستقبل: ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع ولم تكن قد وقعت عند نزول الآيات التي تحدثت عن وقوع الحادثة.

❖ وهذا النوع أقوى أنواع الإعجاز الغيبي في الدلالة على إعجاز القرآن، ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفته مطلقاً، ولا يمكن معرفته إلا بوحي من الله تعالى.

ومن خلال استقراء الآيات التي تحدثت عن هذا النوع من الغيب يمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع[1]:

أولاً: ما وقع في عهد النبي ﷺ:

١) الإخبار بموت بعض المشركين على الكفر وأن مصيرهم النار:

أ) قوله تعالى عن أبي لهب: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وعن امرأته: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد:٤،٢] والخبر الغيبي في هذا أنه أخبر أنهما في النار ويقتضي هذا موتهما على الكفر.

ب) وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً... سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) [المدثر: ١١ - ٢٦][2].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٧٧-٢٨٥).

(٢) ينظر: لباب النقول للسيوطي (ص ٢٢٣-٢٢٤).

ت) وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى (٩) عَبْداً إِذا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٥) ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ (١٨) [العلق: ٩ - ١٨].

لقد حددت الآيات الكريمة مصير كل من أبي لهب والوليد بن المغيرة وأبي جهل، في الدنيا والآخرة، فلو لم يكن القرآن تنزيلا من حكيم حميد الذي بيده الحياة والموت لما صحّ ذلك في كل ما أخبر به،

أفليست هذه معجزة قاهرة، وأي معجزة أبهر وأقهر من أمر لا يكلف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانه فيبطل بها قول محمد ﷺ، ويفسد أمره جميعه، ثم لا يقول الكلمة، ولا تسمح له الحياة بأن يقولها فقد عاجلته المنية قبل يوم الفتح الذي دخلت فيه قريش كلها الإسلام فلو دخل هؤلاء لكان إسلامهم هدما للإسلام كله.

أفلا يدل هذا جليا أن القرآن من عند خالق الحياة والممات، والذي مصير كل شيء بيده، ومآل كل أمر إليه، وهو الذي حفظ دينه وكتابه.

٢) انتصار المسلمين في يوم بدر:

قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، سورة القمر من السور المكية التي نزلت في المرحلة المتوسطة حيث كان أذى المشركين يزيد يوما بعد يوم على المؤمنين، وقد نزلت هذه الآية وعائشة -رضي الله عنها- بمكة جارية تلعب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

(٤٥)﴾ فأقول أي جمع هذا وأية هزيمة إلى أن كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فعرفت تأويلها يومئذ[1].

عند نزول الآية الكريمة ما كان أحد يتوقع أن تكون للمسلمين شوكة وجيش يواجهون به جموع المشركين. فكان أن تحققت النبوءة بعد سنوات عديدة في السنة الثانية من الهجرة النبوية.

٣) **انتصار الروم على الفرس** :

قال تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾ [الروم: ١ - ٤].

كانت الدولتان العظيمتان في ذلك الحين الفرس والروم، فحدث أن وقعت معركة بين الدولتين وانتصر الفرس على الروم وألحقت هزيمة نكراء بجيش الروم واقتطعت أراضي من بلاد الشام من الممالك الرومانية، وكانت دولة الفرس وثنية تعبد النار، وكانت دولة الروم نصرانية تدعي متابعتها للإنجيل، ففرح المشركون الوثنيون بانتصار الوثن على أهل الكتاب. تفاؤلاً بانتصارهم على المسلمين أتباع القرآن. فلما نزلت الآيات الأولى من سورة الروم، سخر المشركون من هذا النبأ، لأن الهزيمة التي لحقت بالروم في مقاييس الأسباب الظاهرية أضخم من أن تزال آثارها في عشرات السنين، فضلا عن تحقيق النصر على العدو المناوئ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٠٢/٢٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٦٨١).

في بضع سنين، ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد، وما كان وعد الله ليتخلف، ولم تمض عشر سنين حتى دحرت الروم الفرس، في وقت فتح الله على رسوله فتحا مبينا، وفرح المسلمون بانتصارهم السياسي في غزوة الحديبية.

٤) إخباره بدخول النبي ﷺ والمسلمين المسجد الحرام آمنين:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)﴾[الفتح: ٢٧]، وقد تحقق ذلك ودخله النبي وأصحابه في عمرة القضاء، فكان ذلك من الإعجاز الغيبي المستقبلي.

ثانياً: ما وقع بعد موت النبي ﷺ:

١) **إخبار القرآن بنصر المؤمنين وتمكينهم:**

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ [النور: ٥٥].

وقد تحقق ذلك في عهد الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ فدحروا دولة الفرس والروم ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى أطراف الصين شرقا وإلى المحيط الأطلسي غربا، وخضعت الشعوب والأمم للإسلام ودخل كثير منهم في الإسلام طواعية وعم ضياؤه أرجاء المعمورة وسارت الظعينة من حضرموت إلى صنعاء لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها، وكان الناس في أمن وأمان. وكان كل ذلك في العهود اللاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

٢) **ظهور الإسلام على الأديان جميعاً:** قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثالثاً: الإخبار عن غيب مستقبلي مستمر :

من إعجاز القرآن الغيبي المستقبلي ما أخبر به ووقع أو استمر الإعجاز فيه دون معارضة كالتحدي بالقرآن :

١) **الإخبار عن عجز المشركين عن معارضة القرآن:** قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]، بل وصل التحدي أن يأتوا ولو بسورة من مثله، بل وأكد الله تعالى أنهم عاجزون عن الإتيان بشي من مثله إلى الأبد، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٣، ٢٤]، وحتى الآن لم يأت أحد بمثله ولن يفعل أحد ذلك.

٢) **الإخبار عن حفظ القرآن منذ تنزله وإلى قيام الساعة:**

كان النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ووقد أنزل الله عليه القرآن وقد خصه الله تعالى وميزه بمميزات وخصائص خصه عن سائر كتبه السالفة ومن ذلك حفظه من التغيير والتبديل والتحريف سواء بالزيادة أو النقص فقد أوكل حفظه لنفسه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد تكفل الله بحفظ كتابه الذي لم تنقطع سلسلة حفاظه الذين يتلقونه جيلا عن جيل من الصدور. ونجد الأمة بعد كل كبوة تستعيد فتوتها، وتجدد نشاطها، لتقوم بدورها

الحضاري مرة أخرى وما ذاك إلا بفضل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتحقيقا لوعد الله الذي تكفل بحفظ كتابه:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، بخلاف سائر الكتب السماوية السابقة التي وكل حفظها إلى الاقوام النازلة عليهم بعد وفاة أنبيائهم، لكنهم خانوا الأمانة، ووقعوا في التحريف كما أخبر الله سبحانه بذلك عنهم:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾[المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾[البقرة:٧٥].

رابعاً: الإخبار عن أحداث تقع في المستقبل كالإخبار عن علامات الساعة الكبرى في أكثر من موضع من القرآن:

١) **خروج الدابة:** قال تعالى:﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾ [النمل: ٨٢]. وجاء ذكرها مجملا، فلا ندرك حقيقتها ولا مكان خروجها، ولا وقته المحدد، إلا أن رسول الله ﷺ فصّل القول في بعض أوصافها ومكان خروجها: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالخاتم، وتخطم أنف الكافر بالعصا حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر»(١).

٢) **خروج يأجوج ومأجوج:** قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ (٩٧)﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]، من علامات الساعة خروج يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض وسيطرتهم على العالم.

٣) **طلوع الشمس من مغربها:** قال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)﴾[الأنعام: ١٥٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥) ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب دابة الأرض (٢/ ١٣٥١).

٤) **نبوءة قرآنية نعايشها الآن:** جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤)﴾ [الإسراء: ٤].

ذهب كثير من المفسرين إلى أن العلو في الأرض والإفساد الأول قد تم فأرسل الله عليهم بختنصر ملك بابل فشردهم وقتل الكثير منهم وساق الكثير أسرى إلى بابل. أما العلو الآخر والإفساد الآخر فلم يأت بعد، حيث لم تقم لليهود بعد أسر بابل دولة ولا كيان.

وفي سورة الإسراء نفسها في أواخرها جاء قوله تعالى: ﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً (١٠٥)﴾ [الإسراء: ١٠٤ - ١٠٥].

أي قيل لهم انتشروا في الأرض فإذا جاء وعد المرة الآخرة في العلو والإفساد في الأرض جئنا بكم من أطراف الأرض جماعات جماعات.

إن تجميع اليهود في فلسطين من سنن الله القدرية التي لن تتخلف. لتأتي المرحلة اللاحقة. إننا نعيش بدايات علو بني إسرائيل للمرة الآخرة. كما إننا نتلمس بذور جند الإسلام في شباب الصحوة الإسلامية العارمة التي تنتشر في العالم الإسلامي اليوم، وإلى أن يأتي الوعد الحق، فإننا منتظرون، ولا يخلف الله الميعاد.

٥) **الآيات الكثيرة التي تتحدث عن اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة كما في:**

أ) قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ [التكوير: ١ - ٦].

ب) وقوله تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ(١٨)﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٨].

ت) وقوله تعالى: ﴿فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)﴾ [القيامة: ٧ - ١٠].

فإن هذه الأحداث الجسام التي تضع نهاية للنظام الكوني واقعة لا محالة، وهذا المعتقد جزء من ديننا وعقيدتنا لا يكون المؤمن صحيح الإيمان إلا باعتقاده. ونتلمس من خلال استقراء الآيات الكريمة التي تحدثت عن غيب المستقبل، أن الهدف الأساس في إيراد هذا النوع من الغيب، هو الغرض التربوي لترسيخ الإيمان في القلب، وحسن التوكل على الله خالق السماوات والأرض، الذي بيده مقاليد الأمر، الذي يقول للشيء كن فيكون.

والهدف التبعي لمثل هذا النوع من الغيب تصديق رسول الله ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى [1].

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٦١)، الإعجاز في القرآن الكريم د. عبدالغني حيدر فارع (ص ١٣٧-١٤٢).

❖ المطلب الثالث: وجه دلالة الغيب على مصدر القرآن :

إن محمداً ﷺ بشر لم يطلع على كتب السابقين ولا يملك من تصرف أمور المستقبل شيئا، وكان هو بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[الأعراف: ١٨٨].

فلو لم يكن مستندا إلى ركن قوي ما أطلق مثل هذا، وجازف بدعوته وهو الذي عرف عنه التعقل والحكمة ولم يعهد منه تسرع في أمر، أو تقول بلا روية، حتى قبل أن يكرمه الله بالرسالة.

إن الصدق في أخبار القرآن الكريم ظاهرة لا يستطيع إنكارها أحد، حتى الذين عادوا الإسلام، كان هؤلاء يضمرون في أنفسهم احترام صدق القرآن وحقيقته بالرغم من ركام الوثنية والشرك والتكذيب الذي لاقوه به، بل كان هذا الاحترام المنتزع منهم والمفروض عليهم ملازما لشخص الرسول ﷺ الذي كان ينطق بالقرآن.

ولقد أدرك مشركو العرب هذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله ﷺ والمؤمنين به، حيث صدقت الحوادث الكونية كثيرا مما أخبرهم به القرآن الكريم.

كما أدرك أهل الكتاب صدق القرآن فيما أخبرهم به من الحوادث الغابرة التي كانوا يعرفونها من بطون كتبهم، وكذلك أدركوا هذا الصدق المطلق من خلال كشف القرآن الكريم لمخططاتهم ومؤامراتهم على الإسلام وأهله.

إن هذه الأنباء الصادقة التي جاء بها القرآن الكريم لدليل ظاهر وبرهان قاهر على أنه كلام رب العالمين، الذي يستوي عنده علم السابق واللاحق، لا تخفى عليه خافية، لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكل ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر، ولا زالت الأيام تكشف عن جوانب من هذه الأنباء، سواء في الكون أو الإنسان أو الحوادث الكونية العامة الشاملة.

إن ظاهرة الإخبار بالمغيبات في القرآن الكريم وتصديق الوقائع لها وعدم تخلف الصدق عنها ولو في جزئية بسيطة، لدليل على أنه وحي ممن خلق الأرض والسماوات العلى، أنزله على رسوله ليكون دلالة على صدقه [1].

ومع قوة هذا الوجه من الإعجاز وتحققه في القرآن الكريم إلا أنه دون الإعجاز البلاغي البياني الذي هو إعجاز مطرد في جميع القرآن وسورة وآياته، أما الإعجاز الغيبي وغيرهن من الإعجازات الأخر، على العكس من ذلك، فقد وقع في بعض السور دون بعض، قصد منه إثبات أن هذا القرآن هو من عند الله، فليس بمقدر أحد من البشر أن يتنبأ بها.

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص ٢٨٧-٢٨٩).

المبحث الرابع:

الإعجاز العلمي (التجريبي)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالإعجاز العلمي والتفسير العلمي والفرق بينهما.

المطلب الثاني: تاريخ التفسير العلمي وأهم المؤلفات فيه.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في الإعجاز العلمي.

المطلب الرابع: وجه دلالة الإعجاز العلمي على مصدر القرآن الكريم.

المطلب الخامس: نماذج وصور من الإعجاز العلمي.

الإعجاز العلمي (التجريبي):

إن الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها،﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الإسراء: ٩].

وجاءت هذه الهدايات والدعوة إليها بأساليب متنوعة، فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة، إلى لفت نظر إلى واقع القصور البشري..

القرآن الكريم كلام الله، والكون كله من خلق الله، ولا يشك مؤمن في التطابق التام بين كلام الله تعالى وبين حقائق هذا الكون ونظامه.

لكن هذه المقارنة أو التوفيق بين النص القرآني الكريم والاكتشاف العلمي الجديد ينبغي أن تكون له ضوابطه وأن تكون له موازينه. ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم بين مؤيد ومعارض.

وإعجاز القرآن العلمي يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم. ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]

ويدخل الإعجاز العلمي في ما يسمَّى بالإعجاز الغيبي، وهو فرع منه، إذ مآله الإخبار بما غاب عن الناس فترة من الزمن، ثمَّ علمه المعاصرون.

❖ المطلب الأول: المراد بالإعجاز العلمي والتفسير العلمي والفرق بينهما:

أولاً: المراد بالإعجاز العلمي: هو مجي القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي ويثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ.

المراد بالتفسير العلمي:

"اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه".

وهذا تعريفه بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: "كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي".

❖ **والفرق بين هذين التعريفين:** أن في الأول خلطًا بين النظريات والحقائق بحيث نجد كثيرًا من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق، وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم[1].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٠).

❖ ثانياً: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي :

١) من حيث الموضوع:

فموضوع الإعجاز العلمي الحقيقة العلمية، بينما موضوع التفسير العلمي كل المعارف سواء كانت فروض نظريات أو حقائق علمية، فكل آية قرآنية إشارة إلى ظاهرة يُعمل المفسر فيها عقله وبما عنده من علوم.

٢) من حيث الزمن:

فالإعجاز العلمي ظهر حديثاً عندما تقدم العلم وأصبح يملك من الوسائل التجريبية التي توصله إلى مكتشفات سواء في النفس أو الآفاق.

أما التفسير العلمي فهو قديم بقدم منشأ علم التفسير ؛ ذلك لأن من آيات القرآن ما لها ارتباط بالحديث عن ظواهر الكون، وقد بين بعض العلماء –كالإمام الغزالي (٥٠٥هـ) في كتابه إحياء علوم الدين، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) والإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه الإتقان في علوم القرآن وغيرهم من العلماء–، ما أشارت إليه الآيات من علوم بحسب طاقتهم ومعارفهم.

٣) من حيث الوظيفة العلمية :

فالتفسير العلمي يصرف الآيات لمعنى معين قد يكون صحيحاً علمياً، وقد لا يكون صحيحاً، فهو مثار البحث والمناقشة، وأما الإعجاز العلمي فلا محل فيه للتناقض بين الآية بدلالتها القطعية مع الحقيقة العلمية فهو فقضية مسلمة لا نزاع فيها[١].

(١) ينظر: الإعجاز في القرآن الكريم د. عبدالغني فارع (ص ١٨١-١٨٢).

المطلب الثاني: تاريخ التفسير العلمي وأهم المؤلفات فيه:

أولاً: تاريخ التفسير العلمي: المتتبع للبحوث التفسيرية للقرآن يجد أن هذه النزعة العلمية تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية وعلى وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري إلى يومنا هذا.

فقد اتفق العلماء على أن الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير، وقد حاول الفخر الرازي (٦٠٦هـ) أن يطبق فكرة الغزالي عملياً في تفسيره مفاتيح الغيب.

ومما لا شك فيه أن الغزالي لم يكن وحيدًا في الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم كالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) وغيره. ثم نما الاتجاه العلمي في العصور الأخيرة نتيجة الانبهار بالحضارة الأوربية، فظهرت التفاسير والمؤلفات المستقلة في التفسير العلمي.

ثانياً: التفاسير والمؤلفات المستقلة في التفسير العلمي:

١) "**كشف الأسرار النورانية القرآنية**، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية "لمحمد بن أحمد الاسكندراني، من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

٢) "**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**" لطنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ)، ويعتبر أوسع كتب التفسير العلمية، وقد فسر القرآن من أوله إلى آخره يوجز في الأمور الشرعية ويتوسع في الأمور العلمية، فيفسر الآيات تفسيراً لفظياً مختصراً، ثم يدخل في بحوث علمية يسميها (لطائف) أو (جواهر)، وهذه البحوث تتضمن أقوال عدد من علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، كما يضع في تفسيره كثيراً من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم.

٣) "**تفسير الآيات الكونية**" للأستاذ حنفي أحمد.

٤) "**ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان** ": محمود شكري الألوسي[1].

والمؤلفات في ذلك كثيرة جدًّا، وهناك محاضرات وأفلام على هذا النحو، كما أنشأت في المملكة العربية السعودية هيئة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة تابعة للمجلس الأعلى للمساجد تعقد الندوات والمحاضرات وتطبع الكتب المتعلقة بذلك.

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٧-٢٩٨)،

❖ المطلب الثالث: أقوال العلماء في الإعجاز العلمي[1]:

انقسم العلماء في التفسير العلمي إلى ثلاث فرق:

١) المؤيدون للتفسير العلمي.

٢) المعارضون.

٣) المعتدلون.

الفريق الأول: المؤيدون للتفسير العلمي: الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، البيضاوي (٦٨٥هـ)، الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، ونظام الدين النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، ومن المعاصرين الألوسي (١٢٧٠هـ)، وطنطاوي الجوهري (ت ١٣٥٨هـ)، والإسكندراني، والكواكبي، ومحمد فريد وجدي، والرافعي(١٣٧١هـ)، والقاسمي(١٣٣٢هـ)، وغيرهم.

من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي[2]:

١) الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[ق: ٦] وقوله سبحانه:

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٠).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٣-٢٩٤)، التفسير بمكتشفات العلم التجريبي" للدكتور محمد الشايع مجلة جامعة الإمام، العدد الرابع ١٤١١هـ (ص٣٧، ٤٠).

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٢] وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢) **الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار:**

كحديث: أن رسول الله ﷺ قال: "ستكون فتن " قيل: وما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. " الحديث[١].

وما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه قال: "من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين" [٢].

٣) وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزًا لما ملأ الله كتابه منها[٣].

٤) أن العلم الحديث قد يكون ضروريًّا لفهم بعض المعاني القرآنية، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهمًا دقيقًا متوقفًا على تقدم بعض العلوم، فتكون

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢ /١٢٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٣).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٢١/٤).

الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

٥) **تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي، منها**[(١)]:

أ- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج- امتلاء النفوس إيمانًا بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.

الفريق الثاني: المعارضون للتفسير العلمي:

ومن المعارضين للتفسير العلمي أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ)، والشاطبي(ت ٧٩٠هـ)، ومحمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب، ومحمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٣هـ)، وغيرهم.

(١) ينظر: اتجاهات التفسير (٢ /٦٠٢).

من أدلة المعارضين[1]:

واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة منها:

١) أن للتفسير شروطًا وقيودًا قررها العلماء ينبغي الالتزام بها فلا يكون تفسير القرآن مباحًا لكل من حصل علمًا من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر، ومن ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معاني وإطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

٢) أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف، ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣) أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين؛ لأن عملية التوفيق تفترض غالبًا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء.

٤) أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلًا غير مشروع.

٥) أن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائمًا للتغيير والتبديل، والتعديل، والنقض، والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، ومن ثم فلا يصح

---

(١) ينظر: "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢ /٦٠٢، ٦٠٣)، والتفسير بمكتشفات العلم التجريبي: د. محمد الشايع (ص ٢٨- ٣٣) معالم الشريعة: د. صبحي الصالح (ص٢٩٠)، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص

أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية.

إن كثيراً ممن كَتب في الإعجاز العلمي ليس ممن له قدم في العلم الشرعي فضلاً عن علم التفسير، وكان من أخطار ذلك أن جُعلت الأبحاث في العلوم التجريبية أصلاً يُحكم به القرآن، وتُؤوَّل آياته لتتناسب مع هذه النظريات والفرضيات.

الفريق الثالث: المعتدلون:

يجب أن نذكر حقيقة ينبغي إدراكها وهي التفريق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها.

أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضًا كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية.

لم يقولوا هذا عن عاطفة مجردة، ولم يقله أتباع القرآن فحسب، وإنما قاله أولئك، وقاله خصومه أيضًا، بعد أن تناولوا آيات عديدة منه، وقلبوها دراسة وتأملًا، وتدبرًا، ونظروا فيما بين أيديهم من النظريات والحقائق العلمية حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه.

وبهذا تدرك أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي ومنهم من منعه، والذي نراه صوابًا هو الوسط بين الفريقين.

فلا رفض ولا إنكار للتفسير العلمي يمنع من إدراك وجوه الإعجاز الجديدة، ويدفع مزاعم القائلين بالعداوة بين الدين والعلم، ويمنع من استمالة غير المسلمين أو يحث على الانتفاع بقوى الكون.

ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي لأن إعجاز القرآن ثابت وغني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك، إذًا فلا رفض مطلق ولا قبول مطلق بل وسط بين طرفين وجمع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين.

لهذا فلا بأس من إيراد الحقائق العلمية الثابتة في تفسير القرآن بشرط:

١) ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.

٢) مراعاة القواعد اللغوية المقررة في التفاسير والمعاجم اللغوية.

٣) عدم مخالفة إجماع السلف.

٤) تفسير القرآن بالحقائق العلمية والبعد عن النظريات والاحتمالات العلمية في تفسير الآيات.

٥) عدم الإفراط والاستطراد في البحث في الآيات الكونية، فالقرآن كتاب هداية للإنسان.

٦) عدم قصر دلالة الآية على الحقيقة العلمية.

٧) أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد

على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان[1].

فإذا تحققت هذه الشروط فلا مانع من إيراد الحقائق العلمية في كتب التفسير.

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٥-٢٩٦)، اتجاهات التفسير (٢ /٦٠٠، ٦٠٤)، مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني (ص٥٨)، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم، مناهج المفسرين أ. د علي العبيد (٢١٩-٢٢٣).

المطلب الرابع: وجه دلالة الإعجاز العلمي على مصدر القرآن الكريم:

إن الإشارات التي وردت في ثنايا آي الذكر الحكيم تتحدث عن بديع صنع الخالق سبحانه وتعالى في هذا الكون الفسيح في مختلف مجالاته، وتتحدث عن النفس الإنسانية وأعماقها وعواطفها ومشاعرها.

بلغت هذه اللفتات والإشارات من السعة والشمول مبلغا لا تستطيع أجيال من العلماء الإحاطة بها مهما أوتوا من وسائل وإمكانيات وجهود وطاقات، فهي من الشمول بحيث تمتد في البعد الزمني إلى أصل الكون بمجراته وأفلاك نجومه وكواكبه.

ومن الإحاطة بحيث تتعرض للأنظمة المرئية وغير المرئية التي تسير عليها الكائنات الحية والجمادات من رياح، وسحب، وبحار، ونبات، وحيوان، وإنسان، وبلغت هذه الإشارات والتلميحات مبلغا من الدقة بحيث تعجز أحدث الوسائل والمختبرات العلمية عن متابعة هذه الحقائق، وكما رأينا من الأمثلة المتقدمة يقف العلم التجريبي الحديث فاغرا فاه عند بعض هذه الحقائق الدقيقة.

إن سوق القرآن الكريم هذه الحقائق بهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية يحمل كل صاحب عقل منصف إلى القول بأن هذا تنزيل العزيز الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما.

إن البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى ماهيتها وأسرارها، فهل يعقل أن يكون هذا القرآن من عند رجل أمي عاش في بيئة أمية لم يذكر التاريخ عن أسلافها تقدما في فنون علوم الكون أو النفس البشرية؟.

وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَزُوراً (٤) وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (٦) [الفرقان: ٤ - ٦]. (١)

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مسلم ٢٢٨-٢٨٩).

المطلب الخامس: نماذج وصور من الإعجاز العلمي[1]:

الأمثلة على الحقائق العلمية والآيات القرآنية التي توافقها ولا تخالفها كثيرة ليس بوسعنا أن نوردها بالتفصيل بل نذكر الآية وما تشير إليه بإيجاز شديد ومن أراد التوسع فدونه كتب الإعجاز العلمي:

١) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] تفريق بين الشمس والقمر ثم أدركه العلماء بعد ذلك.

٢) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ: ٧، ٨] إشارة إلى شكل الجبل الظاهر والباطن، وأدركه العلماء بعد ذلك.

٣) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، إشارة إلى مراحل خلق الإنسان في الرحم ولم يدركها العلماء إلا في العصور الحديثة.

٤) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٧] إشارة إلى موضع تكون النطفة وهو أمر لم يدركه العلماء إلا حديثًا.

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٢٩٨-٢٩٩).

٥) في قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤] في تخصيص البنان بالذكر صفة تميزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثًا وهو علم البصمات.

٦) في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]إشارة إلى مركز الحس بالألم في الإنسان وهو الجلد.

٧) في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] إشارة إلى ضيق صدر من يصعد إلى السماء وهو أمر لم يكتشفه العلم إلا حديثًا حيث يقل الأوكسجين وينخفض الضغط.

٨) وفي قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥] إشارة إلى ما اكتشف العلم الحديث بعضه من عظمة هذا الكون واتساعه الذي يقصر عن إدراكه إنسان.

٩) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] إشارة إلى ما كان مجهولًا من تحديد مصدر اللبن في الأنعام.

١٠) وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ [القيامة: ٣٦، ٣٧] إشارة إلى أن الإنسان يخلق من جزء ضئيل جدًّا "نطفة" من المني وهذا ما كشفه العلم الحديث.

تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر، فسبحان الذي أحاط بكل شيء علمًا...

أخيراً: إن الإعجاز العلمي لا يجوز أن نوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة لأننا نثبت للعالمين مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن حق، وما دعا إليه حق، ومن المستحيل أن يحل بين الحقيقة العلمية والآية القرآنية تعارض، وإذا ظهر لنا ما قد يعتقد أنه تعارض فهو ناتج عن أحد أمرين: إما جهلنا بالحقيقة العلمية، أو جهلنا بمعنى الآية.

المبحث الخامس:

الإعجاز العددي ونقده، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز العددي، ونشأته.

المطلب الثاني: موقف العلماء من الإعجاز العددي.

المطلب الثالث: المؤلفات في الإعجاز العددي.

الإعجاز العددي

ظل العلماء في كل عصر يكشفون وجهاً جديداً من وجوه إعجاز القرآن فجاءت ألوان من الإعجاز القرآني الغيبي والتشريعي والاجتماعي والنفسي والعلمي والعددي.

وقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول الإعجاز العلمي، والإعجاز العددي، وبعضها فيه تكلف وتعسف، وتحميل للآيات ما لا تحتمله، وخروج عن التفسير الصحيح للآيات.

وإذا كان هناك من ينكر الإعجاز العلمي فإن منكري الإعجاز العددي أكثر وأكثر وانقسم الناس فيه بين غالٍ وجافٍ، ففي الحين الذي نرى بعض المغالين في الإعجاز العددي الذين يتكلفون في تقرير نظرياتهم ولا يلتزمون بمنهج علمي سليم في تقريره وليس لهم من العلم الشرعي ما يؤهلهم للحديث عن أدنى قضية شرعية فضلاً عن تقرير قضايا قرآنية كبرى وتخبطت فئة من هؤلاء إلى ما يخالف الثوابت الشرعية كل هذا وغيره ولد طائفة انكرت هذا اللون وحاربته ورأت أنه لا يمت للإعجاز بصلة، ورأت طائفة ثانية أن في هذا اللون حقائق ثابتة، وصورا مرئية، ونتائج ملموسه، مع ما فيه من صور انحراف وخروج عن الحق وليس من الصواب أن نساوي بين الأمرين ونرفض حق محق لباطل مبطل

إن القرآن يأبي إلا أن يكشف في كل عصر وجها من أوجه الإعجاز ليظهر للناس أن القران ليس لأمة دون أمة ولا لعصر دون عصر ولا لجيل دون جيل ولا لطائفة من العلماء

دون طائفة بل سيجد فيه علماء اللغة والبلاغة والتشريع والإصلاح والعلوم والرياضيات وغيرهم من وجوه الإعجاز ما يناسبهم في كل عصر من العصور.

إلا أن هذا لا يعني الاندفاع الذي نراه من طائفة بلا ضوابط ولا موازين، ولا شروط ولا مقاييس، بوضع ضوابط للإعجاز العددي تضبط أصوله وترسم معالمه وتحدد منهجه لزاماً على علماء الشريعة[1].

(١) ينظر: ضوابط الاعجاز العددي في القرآن الكريم د. فهد الرومي (ص ٦).

المطلب الأول: تعريف الإعجاز العددي، ونشأته:

أولاً: تعريف الإعجاز العددي: مصطلح جديد بدأ تداوله في العصر الحديث، وكثرت التعريفات حوله، ومن أوضح وأخصر التعريفات التي قيلت فيه: ما ورد في القران الكريم من موافقات مبنية على العدِ والإحصاء مما يعجز الخلق عن الإتيان بمثله(١).

ثانياً: نشأة الإعجاز العددي: يرجعه البعض إلى العصر الحديث ولعل أقدم أو أول من تكلم صراحة بهذا هو الأستاذ عبد الرزاق نوفل رحمة الله تعالي في كتابه "الإعجاز العددي في القران الكريم"(٢).

(١) ينظر: الإعجاز لعددي في القران الكريم (دراسة نقدية تأصيلية) د. صالح صواب بحث منشور في مجلة الكلية العليا للقران الكريم العدد السابع ٢٠٠٩م (ص١٧).

(٢) ينظر: ضوابط الاعجاز العددي في القرآن الكريم د. فهد الرومي (ص ٦).

المطلب الثاني: موقف العلماء من الإعجاز العددي:

انقسم العلماء في الإعجاز العددي إلى مؤيد ومعارض:

الفريق الأول: المؤيدون من العلماء للإعجاز العددي:

وهؤلاء يرون أن القرآن الكريم متزن ومتناسب، وهناك تماثل عددي وتكرار رقمي في موضوعات القرآن وكلماته، يمثل صورة من صور الإعجاز للقرآن الكريم، وهؤلاء فيهم:

- صنف المبالغون والمتكلفون في ذكر هذا النوع من الإعجاز، والذين حملوا القرآن ما لا يحتمل كرشاد خليفة صاحب "معجزة القرآن الكريم"، الذي لم يتحر الدقة والصواب في كتاباته بل تكلف فيها.
- وصنف خلطوا بين الصحيح والخطأ الظاهر فوقعوا في أخطاء كبيرة، ومن هؤلاء المهندس عدنان الرفاعي في كتابه "المعجزة".
- وصنفُ أصابوا في كثير من الأشياء لكن بغير ضوابط مما أدى إلى ظهور الإعجاز القرآني بصورة ضعيفة أدت إلى رده وعدم التسليم له [1].

(١) ينظر: الإعجاز لعددي في القران الكريم (دراسة نقدية تأصيلية) د. صالح صواب (ص١٩).

الفريق الثاني: المعارضون من العلماء للإعجاز العددي:

وهؤلاء قالوا ببطلان هذا النوع من الإعجاز وردوه جملة وتفصيلاً وأنه لا دليل عليه، ومن هؤلاء: د. محمد حسن هيتو في كتابه " المعجزة القرآنية: أكذوبة الإعجاز العددي في القرآن الكريم "، وكذلك الدكتور فضل عباس في كتابه " إعجاز القرآن " ويرون أنه لا يوجد له فوائد علمية، أو أثر واقعي من شأنه أن يهذب النفس، أو يطلع على أسرار الكون، والبحث في هذا الجانب أقرب ما يكون إلى الترف العقلي المجرد[١]

وقال بعضهم: أن الأهم والأولى في إظهار إعجاز القرآن وترغيب غير المسلمين في الإسلام أن نعرض عليهم سمو معانيه، وعظم تشريعاته، لا هذا العد الحرفي الجاف[٢].

ويرون أن هذا النوع لا يسمى إعجازاً بل هو لطيفة من اللطائف القرآنية، كما ذكر ذلك ابن عطيه بقوله: " هذا من مُلَح التفسير وليس من متين العلم"[٣]، ويقصد بذلك أن مثل هذه اللفتات التي ترد في أقوال العلماء هي فتوحات إلهية وإشراقات تقدم في أذهانهم، ولا تعتمد على قواعد علمية يمكن الاستدلال بها وإقامة الحجج عليها.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن. فضل عباس (ص ٣١٥) ، والإعجاز لعددي في القران الكريم (دراسة نقدية تأصيلية) د. صالح صواب (ص١٩).

(٢) فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي (ص٢٩٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطيه (٦١/١).

الفريق الثالث: المجيزون لهذا النوع لكن بضوابط:

لما انفتح هذا الباب على مصراعيه فدخل فيه الغث والسمين وكتب فيه من أجاد وأحسن ومن أساء واخطأ وانحرف فكان لزاما على الغيورين على هذا القرآن وهذا الدين من المختصين بالدراسات القرآنية وغيرهم أن يتداعوا لوضع ضوابط وكوابح لهذا الاندفاع في الكتابة عن الإعجاز العددي.

ضوابط الإعجاز العددي[1]:

١) **الالتزام في الاحصاء العددي برسم المصحف العثماني**: وذلك أن الرسم العثماني هو الذي أجمعت عليه الأمة في كتابة القران الكريم ورسمه، وهي الطريقة التي كتب بها القرآن في عهد الرسول ﷺ والتزمه الصحابة وأثبتوه ودونوه في عهد عثمان رضي الله عنه فلا يسع مسلم أن يخالف ذلك أو أن يخرج عنه.

٢) **الالتزام بترتيب الآيات والسور حسب المصحف العثماني**: وذلك أن بعض العادين تجاوز الالتزام بالترتيب إلى دمج بعض السور في بعض في سورة واحدة ليتفق معه العدد فعد سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة ليبني عليها نظريته[2].

٣) **الالتزام بالقراءات المتواترة وترك القراءة الشاذة**: وهذا شرط أساس وضابط لازم لا يمكن تجاوزه أو إهماله إذ أن العدول عن القراءة المتواترة إلى أخرى غير متواترة

---

(١) ينظر: ضوابط الاعجاز العددي في القرآن الكريم د. فهد الرومي (ص ٨-١٤).

(٢) المنظار الهندسي للقران الكريم: د خالد العبيدي ص ٢٧٦و٤١٨و٥١١

لأجل التوافق العددي انحراف عن المنهج الصحيح وفيه نسبة إلى القرآن ما ليس منه؛ لذا فانه من الواجب على الدارسين للإعجاز العددي ومستنبطي أسراره الالتزام بالقراءات المتواترة الثابتة.

٤) **الالتزام بقراءة واحدة في القضية الواحدة ولا يذكر قراءة أخرى إلا لقصد كشف وجه إعجازي آخر**: فالالتزام بقراءة واحدة هو الأصل الذي لا يصح غيره في التلاوة إذ لا يجوز للتالي أن يتنقل من قراءة إلى أخرى إلا في مجال التعليم.

٥) **عدم الخروج عن الثوابت في العقيدة والشريعة واللغة**: وذلك انه لا يمكن وقوع الاختلاف بين ما يدل عليه القرآن ويرشد إليه وثوابت هذا الدين، فلا يصح أبدا أن يدل فهم صحيح لإشارة قرآنية أو دلالة معينة على ما يخالف الثوابت في العقيدة أو الشريعة.

وكل نتيجة يؤدي إليها الحساب العددي لآيات قرآنية تخالف نصا صريحا للقران أو السنة أو ما هو من الثوابت الشرعية فإنها باطلة لا تصح، ومنه تحديد وقت الساعة التي لا يعلمها إلا الله.

٦) **التجرد من الهوى والالتزام بالدليل الصحيح**: فإن صاحب الهوى يدفعه هواه إلى تجاوز الحقيقة والواقع إلى ما يوافق نظريته وهذا ما هو حاصل حتى في مجال التفسير وقد صرح ابن تيمية رحمه الله تعالى عن طائفة من أهل الملل والنحل الذي يفسرون القرآن بأهوائهم فقال عنهم: إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم

سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم[1].

٧) **الالتزام بذكر الحقيقة العلمية التاريخية:** وعدم المبالغة في النتائج إلى الغرائب والأوهام البعيدة عن الواقع حيث نلاحظ ظاهرة عند بعض من كتب عن الإعجاز العددي تظهر باختيار عناوين لا تخلو من شطح (حل رموز الشيفرة القرآنية) (وسر الوجود) وكأن القرآن طلاسم وألغاز ومثل (الرسالة الخفية للقرآن) و(لغز فواتح السور).

٨) **وجوب الاستقراء التام وعدم تجاهل بعض المعدودات أو عَدّ ما لا يعد حتى يتم التوافق العددي:** وهذا أمر خطير وشرط أساس وضابط مكين وقع في مخالفته كثير من العادين والباحثين وقد حملهم حرصهم على تحقق نظرياتهم وثبوتها إلى تجاوز الواقع ومحاولة خداع النفس قبل خداع الآخرين.

٩) أن يظهر وجه الإعجاز في تلك الأعداد بحيث يعجز البشر عن فعل مثلها لو أرادوا.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٥٨).

❖ الخلاصة:

إن القرآن أمانة في أعناقنا جميعنا نحن المسلمين مهما كان مجال تخصصنا فعلينا القيام بحقه وبيانه للناس والذب عنه.

ولا يصح أن يحملنا حبنا للقرآن على الافتراء عليه ونسبه ما لا يصح إليه فالذمة لا تبرأ والدين لا ينقى بمجرد حب مزعوم يحمل صاحبه على القول في القرآن بغير علم أو بما لا يثبت ففي الحقائق القرآنية الثابتة، والإحصاء السليم ما يكفي وزيادة لإظهار مزايا القرآن وفضائله، وإعجازه للبشر أجمع، وإن ضرر هذه التجاوزات في الإحصاءات العددية فضلاً عن حرمتها كبير[1].

لذلك فالأسلم أن نبتعد عن هذا النوع وما يشبهه من ترميزات عددية للأحرف القرآنية، والتي لا تقوم على أساس علمي أو شرعي، حتى يثبُت صِدْقُها يقيناً، وينبغي علينا أن نعلم بأننا نتعامل مع أعظم وأقدس كتاب على وجه الأرض.

(١) ينظر: ضوابط الاعجاز العددي في القرآن الكريم د. فهد الرومي (ص ١٥).

❖ المطلب الثالث: المؤلفات في الإعجاز العددي:

١) الإعجاز العددي للقرآن الكريم د. عبد الرزاق نوفل (ت ١٩٨٤م).

٢) دراسات في الإعجاز العدد بين الماضي والحاضر: مصطفى عمر الكندي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ١٤٠٨هـ.

٣) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة نقدية تأصيلية: أ.د/ صالح صواب.

٤) معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم: عبدالرزاق نوفل.

٥) إرهاصات الإعجاز العددي، بسام جرار.

٦) العلاقة بين الاعجاز العددي و الاعجاز البياني في سورة الكهف.

٧) مقولة الإعجاز العددي دراسة نقدية: أ.د /أحمد شكري.

الخاتمة

كانت هذه المحاضرات لأنواع الإعجاز في القرآن حاولنا أن نلقي فيها الأضواء على جهود السلف في إبراز الإعجاز في النظم القرآني وأسلوبه وبيانه، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي، وقد فصلنا القول في الإعجاز العلمي، لأن العصر الحالي عصر اكتشاف سنن الله في الكون والآفاق وتسخيرها للإنسان.

ولما كانت المعجزة قرينة الرسالة، ولما كان القرآن الكريم معجزة الرسالة الخالدة، فلا بد من أن تقام الحجة بالقرآن الكريم على كل جيل من الأجيال ليذعن أهل الإنكار والجحود في كل عصر لعظمة منزله، ويوقنوا في قرارة نفوسهم أنه كلام الذي أحاط بكل شيء علما، الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

وكلما تقدمت الوسائل العلمية، وتوسعت دائرة المعرفة البشرية ستفتح آفاق جديدة أمام الباحثين في إعجاز القرآن الكريم.

وعلى أهل الاختصاص من علماء المسلمين أن يعايشوا القرآن المجيد ويستنطقوا آياته لكشف الأستار عن الإشارات القرآنية وتلميحاته عن الحقائق المودعة في مخلوقات الله، لتكون أبحاثهم ونتاج جهودهم وسيلة لتحقيق وعد الله سبحانه وتعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾[فصلت: ٥٣].

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

١) **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ).

٢) **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت:٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣) **البرهان في علوم القرآن**: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ).

٤) **مجموع الفتاوى**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة النبوية-مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).

٥) **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

٦) **مناهل العرفان في علوم القرآن**: لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ). (ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

٧) **سنن أبي داود**: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، صيدا-بيروت).

٨) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ).

٩) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل**: لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت–دار إحياء التراث العربي).

١٠) **التحرير والتنوير**: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

١١) **الدر المنثور**: لجلال الدين السيوطي (بيروت–دار الفكر).

١٢) **الموافقات**: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

١٣) **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(ط٢–القاهرة– دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ).

١٤) **المحرر الوجيز في تفسير العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

١٥) **مفاتيح الغيب**: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط٣- بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

١٦) **دراسات في علوم القرآن الكريم**: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، (ط ١٢: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

١٧) **مباحث في إعجاز القرآن** لمصطفى مسلم.

١٨) **التفسير بمكتشفات العلم التجريبي**" للدكتور محمد الشايع مجلة جامعة الإمام، العدد الرابع ١٤١١هـ .

١٩) **مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة**. د. مصطفى مسلم، مناهج المفسرين أ. د علي العبيد.

٢٠) **الإعجاز لعددي في القران الكريم (دراسة نقدية تأصيلية)** د. صالح صواب بحث منشور في مجلة الكلية العليا للقران الكريم العدد السابع ٢٠٠٩م.

٢١) **فكرة إعجاز القرآن**، نعيم الحمصي.

٢٢) **إعجاز القرآن**. فضل عباس (ص ٣١٥).

٢٣) **ضوابط الاعجاز العددي في القرآن الكريم** د. فهد الرومي .

٢٤) **المنظار الهندسي للقران الكريم**: د خالد العبيدي.

٢٥) **معالم الشريعة**: د. صبحي الصالح.

٢٦) **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**.

٢٧) **الإعجاز في القرآن الكريم** د. عبدالغني حيدر فارع.

٢٨) **أسباب نزول القرآن** للواحدي.

٢٩) **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم** د. حكمت الحريري.

٣٠) **الإعجاز التشريعي لنظام الميراث في القرآن**: أ .د أحمد يوسف سليمان.

٣١) **في ظلال القرآن** لسيد قطب.

٣٢) **الوسيط في أحكام التركات والمواريث** لزكريا البري.

٣٣) **الإعجاز التشريعي في الإسلام** ل محمد عبد الرحمن المرعشلي.

٣٤) **منهاج السنة النبوية لابن تيمية**.

٣٥) **الخصائص العامة للإسلام** للقرضاوي.

٣٦) **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل** عبد القادر بن بدران الدمشقي .

٣٧) **الحدود والتعزيرات عند ابن القيم** بكر أبو زيد.

٣٨) **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة** لأحمد عمر أبو شوفة.

٣٩) **البيان في إعجاز القرآن** للدكتور صلاح الخالدي.

٤٠) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم.

٤١) **المعجزة الكبرى القرآن** لأبي زهرة.

٤٢) **محاضرات في علوم القرآن** لغانم بن قدوري.

٤٣) **معترك الأقران** للسيوطي.

٤٤) **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** مصطفى صادق الرافعي.

٤٥) **النكت في إعجاز القرآن**: لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني المعتزلي (ت:٣٨٤هـ). تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.

٤٦) **مباحث في علوم القرآن**: لصبحي الصالح (ط ٣٤، دار العلم للملايين ٢٠٠٠م).

٤٧) **الموسوعة القرآنية المتخصصة**: لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

٤٨) **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء (ط١، بيروت- دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ).

٤٩) **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**: لعبد الله بن يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

٥٠) **المحرر في علوم القرآن**: للدكتور: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥١) **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. تحقيق: مجموعة من تحقيق (ط.دار الهداية).

٥٢) **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط١، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية-١٤١٢هـ).

٥٣) **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ط. دار صادر-بيروت ط.٣-١٤١٤هـ).

٥٤) **المصنف في الأحاديث والآثار**: لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط١، الرياض، مكتبة الرشد -، ١٤٠٩هـ).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمـة	١
هيكل البحث	٣
التمهيد وفيه تعريفات العنوان، ومقدمات عن الإعجاز وفيه مطلبان:	٧
المطلب الأول: تعريفات العنوان.	٨
المطلب الثاني: مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم.	١٢
المبحث الأول: الإعجاز البياني، وفيه خمسة مطالب:	٣٤
المطلب الأول: أهمية الإعجاز البياني ومكانته.	٣٦
المطلب الثاني: أقسام الإعجاز البياني.	٣٩
المطلب الثالث: وجه دلالة الإعجاز البياني على مصدر القرآن.	٤١
المطلب الرابع: جوانب الإعجاز البياني، وفيه:	٤٥
أولاً: إعجازه في بلاغته وفصاحته.	٤٥
ثانياً: النظم القرآني (جزالته وتناسقه).	٥٧
ثالثاً: اسلوب القرآن.	٦٠
المطلب الخامس: نماذج لبلاغة القرآن وفصاحته.	٦٨

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي، وفيه ستة مطالب:	٧٢
المطلب الأول: تعريف الإعجاز التشريعي.	٧٣
المطلب الثاني: مكانة الإعجاز التشريعي.	٧٤
المطلب الثالث: منهج القرآن في التشريع، وفيه:	٧٧
أولاً: تربية الفرد.	٧٧
ثانيًا: بناء الأسرة.	٨١
ثالثاً: بناء المجتمع.	٨٣
المطلب الرابع: دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم.	٨٦
المطلب الخامس: خصائص التشريع ومزاياه.	٨٩
المطلب السادس: نماذج وصور للإعجاز التشريعي للقرآن الكريم.	٩٥
المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي (الإخباري)، وفيه ثلاثة مطالب:	١٠٣
المطلب الأول: أهمية الإعجاز الغيبي ومكانته.	١٠٥
المطلب الثاني: أنواع الأخبار الغيبية الواردة في القرآن، وفيه :	١٠٧
النوع الأول: الإخبار عن الغيب المطلق.	١٠٧
النوع الثاني: الأخبار الغيبية الماضية.	١٠٧
النوع الثالث: إعجاز الحاضر.	١١١

الموضـــــــــــوع	الصفحة
النوع الرابع: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة "غيب المستقبل".	١١٥
المطلب الثالث: وجه دلالة الغيب على مصدر القرآن.	١٢٧
المبحث الرابع: الإعجاز العلمي (التجريبي)، وفيه خمسة مطالب:	١٣٠
المطلب الأول: المراد بالإعجاز العلمي والتفسير العلمي والفرق بينهما.	١٣٣
المطلب الثاني: تاريخ التفسير العلمي وأهم المؤلفات فيه.	١٣٦
المطلب الثالث: أقوال العلماء في الإعجاز العلمي.	١٣٨
المطلب الرابع: وجه دلالة الإعجاز العلمي على مصدر القرآن الكريم.	١٤٦
المطلب الخامس: نماذج وصور من الإعجاز العلمي.	١٤٨
المبحث الخامس: الإعجاز العددي، وفيه ثلاثة مطالب:	١٥١
المطلب الأول: تعريف الإعجاز العددي، ونشأته.	١٥٤
المطلب الثاني: موقف العلماء من الإعجاز العددي.	١٥٥
المطلب الثالث: المؤلفات في الإعجاز العددي.	١٦١
الخاتمة: وفيها أهم النتائج.	١٦٢
فهرس المصادر والمراجع.	١٦٤
فهرس الموضوعات.	١٧١

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.